دور العثمانيين والعمانيين في مقاومة الاستعمار البرتغالي ونشر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا: القرنين السادس عشر والسابع عشر أنموذجًا

طلال حمود عبده المخلافي

أستاذ التاريخ الحديث المشارك – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة تعز

تاريخ التسليم١٦/٧/٢٠١٧م تاريخ القبول٢/١٠/٢٠١٧م

الملخص:

تتمحور إشكالية البحث حول تعرض الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا لأخطار حقيقية، منذ أواخر القرن ١٥م ومطلع القرن ١٦م، على يد القوى الاستعمارية البرتغالية، الساعية لتحقيق طموحاتها الاقتصادية والدينية والسياسية بمباركة البابوية، وكذا تصدر بعض القوى الإسلامية لمحاربة تلك الأخطار، والذود عن الحضارة الإسلامية ونشرها، والحفاظ على مقومات استمرارها في شرق إفريقيا، وفي مقدمة تلك القوى العثمانيون في القرن١٦م، والعمانيون اليعاربة في القرن١٧م. وينبثق عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات من قبيل: متى وكيف كانت البدايات الأولى للحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا؟ وما أبرز الممالك والدول الإسلامية التي نشأت هناك؟ ومتى وكيف تم تغلغل الاستعمار البرتغالي إلى شرق إفريقيا وما هي أخطاره على الحضارة الإسلامية هناك؟ ثم ما طبيعة الدور الذي قام به العثمانيون والعمانيون في مقاومة تلك الأخطار ونشر الحضارة الإسلامية والحفاظ عليها في شرق إفريقيا؟

ومن خلال المعطيات المعاصرة للمرحلة المدروسة والقريبة منها حاول الباحث الإجابة على إشكالية البحث بتساؤلاتها المتعددة، من خلال تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور، كما يأتي:

المحور الأول: بواكير الحضارة الإسلامية ومظاهرها في شرق إفريقيا.

المحور الثاني: الحملات البرتغالية وخطرها على الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا.

المحور الثالث: جهود العثمانيين والعمانيين في مقاومة البرتغاليين ونشر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا.

Abstract

This research deals with the Islamic Civilization in East Africa – in particular – and the East of Islamic World – in general – and the dangers faced in this area during the late 15th century and the Colonization to achieve outset of the 16th century. These dangers were the result of the Portuguese economical, religious, and political gains supported by the fathers of the Church. Many Islamic political groups started to fight against these dangers and to protect Islamic Civilization in East Africa. The Othmanis (16 th C) and the Omanis (Ya'areba 17thC) are the most influential groups to stand against the invasion of East Africa. The present paper poses several questions such as : When was the first step of Islam in East Africa?What were the famous Islamic States there? How / When did the Portuguese come there? What were the main dangers that Islamic Civilization faced there? What was the role of Othmanis and Omanis to protect East Africa? The present research answers these questions via the outcomes of documents , sources ,and modern references.This research is divided into three chapters .

Chapter one deals with the start of Islam in East Africa . It deals with the most famous Islamic States there stretched from Mogadishu in the north , including Blamu , Malandi , Mombasa , Zungubar , Mafia , Clua and ending with Sufala in the south. Chapter two deals with the Portuguese Campaigns and its dangers on the Islamic Civilization in East Africa. This chapter focuses on the political gains

of this colony and the periods of its raiding in East Africa. Chapter Three deals with the role of Othmanis and Omanis to resist colony and to spread Islam in East Africa through 1- to fight the Portuguese and defeat them .2- to stop the spread of Christianity and its allies. 3-to spread Islamic Civilization and to protect it scientifically, intellectually, linguistically and to preserve the norms of Architecture and society.

تمهيد:

شهد ساحل شرق إفريقيا حضارة إسلامية مزدهرة بمظاهر متعددة، ترجع بواكيرها إلى التواجد العربي في ذلك الساحل قبل الإسلام، وتعززت بعد الإسلام بزيادة ذلك التواجد الذي احتل العمانيون–فالحضارمة– صدارته، إذ تطورت أغراضه من الإقامة التجارية المؤقتة إلى الاستقرار الدائم وإنشاء المدن والإمارات العربية، ونشر الإسلام وحضارته سلمياً على طول الساحل الشرقي الإفريقي، ذي المكانة الاستراتيجية والاقتصادية والدينية، ما دفع القوى المسيحية بزعامة البرتغال إلى استعمار ذلك الساحل وضرب مقومات حضارته الإسلامية منذ أواخر القرن ١٥م من جهة، وحتم على القوى الإسلامية ممثلة في العثمانيين الأتراك في القرن ١٦م، وعرب عمان اليعاربة في القرن ١٧م، نجدة مسلمي شرق إفريقيا والتصدي للبرتغال ووقف خطرهم على الحضارة الإسلامية وتمكينها من الانتشار من جهةٍ أخرى.

أولاً: بواكير الحضارة الإسلامية ومظاهرها في شرق إفريقيا:

سوف يتناول هذا المحور مفهوم شرق إفريقيا وبدايات انتشار الإسلام وأبرز مظاهره الحضارية هناك، كالآتي:

١– شرق إفريقيا، حدود المصطلح:

تتمحور حدود مصطلح شرق إفريقيا حول الساحل الشرقي المطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي(١)، والذي يحتل مساحة كبيرة بين خطي عرض ٥ شمالاً و١٠ جنوبا(٢)، ويمتد من رأس جردفون عند القرن الإفريقي شمالاً إلى خليج دلجادو جنوباً بشكل عام، ومن مقديشو شمالاً حتى سفالة جنوباً على وجه الخصوص(٣)، وهو ما عرفه جغرافيوا العرب بساحل الزنج(٤) أو زنجبار، المشتقة من الفارسية بار بمعنى ساحل(٥)، يضاف إلى ذلك الحبشة المسيحية ودول الطراز الإسلامي في القرن الإفريقي(٦).

وقد ميز العرب في الساحل الشرقي لإفريقيا بين ثلاث مناطق رئيسة من الشمال إلى الجنوب، الأولى منطقة بلاد بربرة(٧) أو سواحل خليج عدن، وفيها زيلع ومقديشو، فضلاً عن الإمارات الإسلامية السبع في الداخل والتي كانت تحف جنوب وجنوب شرقي الحبشة، والمسماة بسلطنات الطراز الاسلامي أو ممالك بلاد زيلع(٨)، وأشهرها مملكة عدل أو زيلع التي دخلت– بدعم من العثمانيين– في صراع مع الحبشة المسيحية المدعومة من البرتغال، خلال القرن١٠هـ/١٦م(٩)، أما المنطقة الثانية فهي الممتدة من مقديشو(١٠) حتى شمالي سفالة(١١) في موزمبيق حاليا، وتتألف من عدد من دول المدن العربية الإسلامية مثل: بتا، ولامو، ومالندي، وزنجبار، وجدي، وممبسا، وكلوة، ويحكمها سلاطين مسلمون، بينما تشمل المنطقة الثالثة أرض سفالة(١٢)، وتمتد من جنوب كلوة إلى نهاية موزمبيق(١٣)، وتقع المنطقة الأولى ضمن القسم الشمالي لساحل شرق إفريقيا المطل على البحر الأحمر، بينما تقع المنطقتان الثانية والثالثة في إطار القسم الجنوبي لساحل شرق إفريقيا المطل على المحيط الهندي(١٤)، والذي هو محل اهتمامنا في هذا البحث.

٢– جذور الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا:

ارتبطت الجذور الأولى للحضارة الإسلامية في ساحل شرق إفريقيا بالهجرات العربية المتقطعة قبل الإسلام، ثم توطدت دعائمها بتزايد تلك الهجرات واستقرار أفرادها على طول ذلك الساحل بصورة دائمة بعد الإسلام، وسوف نناقش ذلك على النحو الآتي:

أ–التواجد العربي في شرق إفريقيا قبل الإسلام:

كان عرب شبه الجزيرة العربية عموماً وعرب حضرموت وعمان خصوصا، أقدم من عرف منطقة شرق إفريقيا قبل الإغريق والرومان(١٥)، وبرغم صعوبة تحديد زمن معين لذلك التواجد، فإنه يمكن القول بأن التاريخ المعروف لتواجد سكان شبه الجزيرة العربية بشرق إفريقيا قد بدأ منذ الألف الثالثة قبل الميلاد تقريبا؛ عندما كانت السفن العربية تنقل المنتجات الآسيوية – خاصةً الهندية – من ساحل الخليج

العربي إلى المراكز العربية على ساحل شرقي إفريقيا، وتحمل في طريق عودتها المنتجات الإفريقية(١٦).

ومن المرجح أن يكون الساحل الشرقي لإفريقيا قد شهد هجرة بعض الجماعات العربية من جنوبي شبه الجزيرة العربية خلال الألف الثانية قبل الميلاد؛ نتيجة لموجات الجفاف التي عانت منها المنطقة في مراحلهاالأخيرة، ما أسهم في ظهور مجتمعات عربية على ذلك الساحل، أخذت في النمو التدريجي خلال الألف الأولى قبل الميلاد، حين ظهرت دويلات سبأ ومعين وحمير في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية وحرصت على توثيق علاقاتها التجارية بشرق إفريقيا، لكن الصراعات بين هذه الدويلات وبدء اضمحلال طرق القوافل بعد السيطرة الإغريقية والرومانية عليها قبل الميلاد، أدى إلى هجرة عدد من القبائل العربية صوب شرق إفريقيا بصورة مستمرة حتى القرنين الثاني والثالث الميلاديين؛ خاصة مع انهيار سد مأرب واضمحلال الزراعة في جنوب الجزيرة العربية، ومن ثم زيادة حجم التواجد العربي وازدهار مراكز العمران العربية على الساحل الشرقي لإفريقيا(١٧).

ولعل ما يؤكد التأثير الواضح للعرب في ذلك الساحل إطلاق الإغريق والرومان عليه اسم عزانيا Azania نسبة إلى إحدى الممالك العربية القديمة عزان، التي يقال إنها وجدت في منطقة ما من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، وانتقل سكانها إلى ساحل شرق إفريقيا، فضلاً عن إشارة بعض المؤرخين الإغريق والرومان إلى معرفة عرب جنوب الجزيرة العربية من تبابعة حمير بساحل شرق إفريقيا وخضوع بعض زعماء هذا الساحل لهم(١٨).

وعموماً، كانت التجارة هي العامل الرئيس الذي دفع العرب للهجرة إلى شرق إفريقيا، حيث مارس التجار العرب في البداية دور الوسيط التجاري، من خلال نقل السلع التجارية بين شرق إفريقيا والأسواق العالمية خاصةً أسواق فارس وروما، ثم قاموا بإيجاد محطات تجارية على الساحل؛ بغرض استخدامها أسواقاً للتبادل التجاري بين الساحل والداخل الإفريقي، وبالتدريج تحولت هذه المحطات إلى مراكز للعمران والاستقرار المؤقت للتجار العرب(١٩).

وقد أسهمت العوامل الجغرافية في هجرة العرب إلى شرق إفريقيا، بالنظر إلى القرب المكاني بين سواحل الجزيرة العربية والخليج العربي وبين سواحل شرق إفريقيا(٢٠)، وكذا حركة الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي، والتي مكنت السفن العربية من القيام برحلتين في السنة(٢١)، الأولى ذهاباً من شواطئ الجزيرة العربية والخليج العربي إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، بين شهري كانون أول وآذار، والثانية إياباً من ساحل إفريقيا الشرقي إلى قواعد الانطلاق العربية، بين شهري نيسان وأيلول(٢٢) فضلاً عن الخبرات البحرية والمعرفة الجيدة بعلم الفلك والأنواء لسكان الجزيرة العربية والخليج، سيما العمانيون والحضارمة(٢٣)، الذين تزايد تواجدهم في شرق إفريقيا بعد الإسلام.

ب- التواجد العربي في شرق إفريقيا بعد الإسلام:

مثل ظهور الإسلام ثورة كبرى بالنسبة لعرب الجزيرة العربية على مستوى تاريخهم عموماً وعلى مستوى تواجدهم في الساحل الشرقي لإفريقيا خصوصاً؛ إذ استجدت عوامل أخرى غير العامل التجاري دفعت العرب المسلمين للهجرة إلى شرق إفريقيا، أبرزها نشر الإسلام والدعوة إليه(٢٤)، والبحث عن ملجأ آمن من الاضطهاد والصراعات السياسية والمذهبية والقبلية، خاصةً على عهد الدولتين الأموية والعباسية، ناهيك عن بعد شرق إفريقيا عن مقر الدولة العربية الاسلامية آنذاك، كما زادت الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا من حيث العدد والحجم، وكذا عدد المدن والإمارات العربية الإسلامية على الساحل الإفريقي؛ نظراً لتحول العرب من إقامة المراكز التجارية المؤقتة إلى الاستقرار الدائم(٢٥).

وترجع بواكير التواجد العربي في شرق إفريقيا إلى فجر الإسلام؛ حينما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه بالهجرة إلى الحبشة للتخلص من اضطهاد قريش لهم، والعيش في ظل عدالة نجاشي الحبشة(٢٦)، وبالفعل تمت أول هجرة في الإسلام في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية(٦١٥م) حينما خرج ١١ رجلاً و٤ نسوة من المسلمين، من مكة صوب الحبشة، عبر سفينتين للتجار الذين كانوا على معرفة بالحبشة(٢٧)، ثم توالت بعد ذلك هجرات العرب المسلمين إلى الحبشة، ومكث بعض أفرادها هناك حتى استقرت أمور المسلمين في المدينة المنورة، بينما بقي البعض الآخر في الحبشة قرابة ١٦ عاماً

دون مضايقات، وبعد عودتهم للجزيرة العربية استمرت العلاقات الودية بين العرب والحبشة(٢٨).

وقد تطور تواجد العرب في شرق إفريقيا بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ بسبب الصراعات والأزمات الداخلية، وكذا الأخطار الخارجية التي شهدتها الدولة الإسلامية على عهد الأمويين والعباسيين ما أدى إلى تزايد الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا من عمان واليمن والأحساء والعراق، ومن ثم الاستقرار هناك وتأسيس عدد من الإمارات الإسلامية، خاصةً على يد عرب إمارة عمان، التي أسهمت بالنصيب الكبير في زيادة التواجد العربي بشرق إفريقيا باستمرار(٢٩).

ومما يسترعي الانتباه أن تلك الهجرات كان يقودها حكام عمانيون، اضطرتهم الظروف السياسية والاقتصادية إلى مغادرة عمان(٣٠)، التي كان لموقعها الجغرافي المنعزل الذي تحده الصحراء من الغرب والمحيط من الجنوب والشرق، الدور الأبرز في تقوية شكيمة عرب عمان وتوجيههم إلى إجادة صناعة السفن الشراعية، واحتراف الملاحة والتجارة باعتبارهما الوسيلة الرئيسة لحياتهم، ما أدى إلى تنمية التجارة العربية في المحيط الهندي، وزيادة الهجرة والاستقرار وتكوين إمارات عربية على سواحله الإفريقية(٣١).

وعلى أية حال، بدأت الهجرات العربية من الجزيرة والخليج إلى ساحل شرق إفريقيا متقطعة منذ مستهل القرن ٢هـ/٨م، ثم زادت بصورة تدريجية، وكانت أول هذه الهجرات هجرة عمانية من قبيلة الأزد بقيادة الأخوين سليمان وسعيد من أسرة الجلندي، التي نجحت في السيطرة على عمان واستقبال المناوئين لحكم الدولة الأموية والفارين من اضطهاد حكامها، مما دفع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى توجيه واليه على العراق الحجاج بن يوسف، بسرعة القضاء على الثورة في عمان وإعادتها إلى طاعة الدولة المركزية، وقد نجم عن ذلك هزيمة آل الجلندي واضطرارهم الهجرة إلى شرق إفريقيا مع جموع كبيرة من قبيلة الأزد(٣٢)، التي اختلف في مكان استقرارها في شرق إفريقيا بين لامو والمناطق الواقعة شمال ممباسا(٣٣) – حين أسسوا حكومة على المذهب الخارجي الإباضي(٣٤) – وبين جزيرة مافيا(٣٥).

وقد تبع هذه الهجرة هجرات أخرى، أسهمت في استقرار العرب في أماكن متفرقة من ساحل شرق إفريقيا، حيث اتجه إلى هذا الساحل جماعة من الخوارج إثر هزيمة المهلب بن أبي صفرة لهم على عهد عبد الملك بن مروان(٣٦)، وقام الحضارمة بدور بارز في عمليات الاتصال بالساحل وتعزيز التواجد العربي فيه، وإن تركز نشاطهم على التجارة أكثر من الاستيطان(٣٧)، كما وفدت هجرة زيدية من اليمن خلال القرن٢هـ/٨م إلى الساحل الشرقي، فاستقروا هناك وأصبح لهم نفوذ على ما عرف باسم ساحل البنادر، إثر تشديد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قبضته على الزيدية(الشيعة) في اليمن(٣٨).

وخلال القرن ٤هـ/١٠م وصلت هجرة من منطقة الأحساء على مقربة من البحرين إلى ساحل شرق إفريقيا، وكانت هذه الهجرة تنتمي إلى قبيلة الحارث العربية بزعامة سبعة أخوة بعد اختلافهم مع حاكم الأحساء، ثم تبعتها في بداية القرن ٧هـ/١٣م هجرة كبيرة من عمان تنتمي إلى الأسرة النبهانية بزعامة سليمان بن مظفر النبهاني؛ عقب انهيار دولتهم على يد اليعاربة سنة ٦٠١هـ/١٢٠٣م(٣٩)، كما ترتب على غارات المغول ودخولهم بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حدوث هجرات عربية إلى شرق إفريقيا(٤٠) من العراق وعدد من الأقطار الإسلامية وفي مقدمتها فارس؛ خصوصاً بعد غزو تيمور لنك لها(٤١) ما أدى إلى تأسيس عدة مدن وإمارات في شرق إفريقياتسمت بالاستقرار والازدهار الحضاري.

٣- مظاهر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا:

أ- المظاهر العمرانية:

كان للإسلام مظهره الحضاري الواضح من الناحية العمرانية في ساحل شرقي إفريقيا؛ إذ نجم عن استقرار العرب بذلك الساحل قيام تجمعات سكانية، شكلت الأساس لنشأة عدد من المدن والموانئ المهمة التي تم استخدامها مراكز تجارية في البداية، ثم ما لبثت أن تطورت حتى أصبحت نواة لإمارات عربية إسلامية فاعلة، انتشرت على طول الساحل الشرقي الإفريقي، ابتداءً من مقديشو شمالاً إلى سفالة جنوباً بما في ذلك مدن بتا ومالندي وممباسا وكلوة(٤٢) بجانب

استقرار العرب في جزر المحيط الهندي مثل جزر بمبا وزنجبار ومافيا وجزر القمر(٤٣).

ونظرًا لعدم اتساع المجال لتتبع تاريخ تأسيس سائر المدن التي أنشاها العرب في شرق إفريقيا، وكذا مراحل تطورها خلال القرون اللاحقة، فسوف نشير إلى أبرزها فقط. وفي هذا الصدد، تعد مدينة مقديشو أول مدينة أسسها العرب على ساحل الصومال أو البنادر آنذاك، ثم تلتها مدينة براوة، ويرجع بعض المؤرخين تأسيس مقديشو إلى ما قبل الإسلام، على يد إحدى الهجرات الحميرية، أو قبل مولد الرسول عليه الصلاة والسلام بمائتي عام(٤٤)، بينما يرجع آخرون تأسيسها إلى ما بعد الإسلام، وتحديداً إلى القرن ٤هـ/١٠م، على يد المهاجرين العرب من الأحساء(٤٥).

وبالنسبة لمدينة كلوة، يذكر البعض أنها تأسست على يد مجموعة من المهاجرين العرب المسلمين، الذين استقروا فيها وبنوا مسجداً قبل القرن ٤هـ/١٠م(٤٦)، بينما يحيل البعض ذلك إلى هجرة الشيعة الشيرازيين بزعامة الحسن بن علي إلى هذه المدينة، خلال القرن ٥هـ/١١م على الأرجح؛ إثر فرارهم من وجه طغرل بك السلجوقي الذي غزا شيراز سنة ١٠٥٥م(٤٧)، وقد زار ابن بطوطة سنة٧٣٢هـ/١٣٣١م مدينتي مقديشو وكلوة إضافة إلى مدينة ممباسا، وتحدث عن مظاهر الحضارة فيها(٤٨)، ويرجح بناء وتأسيس ممباسا في القرن ٤هـ/١٠م على يد مهاجرين من عمان أطلقوا اسم إحدى المدن العمانية على هذه المدينة الإفريقية(٤٩) ذات السجل الحافل بالصراع مع مدينة مالندي، التي قيل إنها تأسست على يد جماعة من العراقيين حوالي سنة ٣٦٥هـ(ق٤هـ/١٠م)، وإن جماعات من شيراز والجزيرة العربية هاجرت إليها فيما بعد وادعت بناء المدينة(٥٠).

ومن المدن المهمة على الساحل الشرقي لإفريقيا مدينتي لامو وبتا، اللاتي يرجع تأسيسهما إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، على يد مهاجرين من عمان في القرن ٢هـ/٨م بالنسبة للأولى والقرن ٧هـ/١٣م فيما يخص الثانية(٥١)، وبالإضافة إلى ذلك تعد مدينة سفالة أقصى منطقة في الساحل الشرقي لإفريقيا وصل إليها العرب، ويرتبط تأسيسها بتجارة الذهب؛ إذ قيل إن جماعة من التجار العرب– سيما من عمان – وصلوا إليها قبالة جزيرة مدغشقر سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م(ق٤هـ/١٠م)، وقاموا بتشييدها(٥٢).

وبجانب دور العرب في إنشاء المدن على الساحل الشرقي لإفريقيا، كان لهم إسهامات كبيرة في تشييد المباني العربية في تلك المدن؛ سواءً كانت مبان خاصة بالحكام والأغنياء أو متعلقة بعامة المجتمع، فضلا عن المباني الدينية والتربوية مثل الجوامع والمدارس، وقد سجل ابن بطوطة إعجابه بالعمارة المتقنة للمساجد والمنازل من الخشب في مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، وبالتحديد مقديشو وكلوة ثم ألمح إلى غلبة الطابع العربي على المنازل بحيث تم استبدال المباني الخشبية بمنازل مبنية بالأحجار ونوافذ خشبية مزينة(٥٣)، كما ميز بعض الأوروبيين بين المنازل الحجرية الخاصة بالطبقة الحاكمة والغنية وبين منازل عامة السكان المبنية من الطين والبوص والقش، ووصفوا الشوارع المرصوفة بالأحجار في كثير من مدن الساحل الشرقي(٥٤).

ب– المظاهر السياسية والإدارية:

كانت المدن والمراكز العربية على الساحل الشرقي لإفريقيا في أغلب مراحلها التاريخية مدناً مستقلة بشؤونها الداخلية، وهو ما حدا ببعض المؤرخين إلى تشبيهها بدول المدن التي كانت معروفة عند الإغريق(٥٥)؛ إذ كانت كل مدينة تتمتع بنظام خاص للحكم، يديرها حاكم يصل للسلطة بالوراثة أو القوة، ويعاونه مجلس من الشيوخ المحليين، وأحياناً وزير أول وسكرتير دولة وقاض أو أكثر، بالإضافة إلى المحتسب وخطيب المسجد وعدد من الموظفين والمعاونين(٥٦).

وعلى هذا الأساس فإن الساحل الشرقي لإفريقيا لم يشهد قيام وحدة سياسية كاملة، أو امبراطورية عربية واحدة تجمع شتات المدن المستقلة؛ خاصةً وأن العرب حملوا معهم إلى شرق إفريقيا بذور اختلافاتهم السياسية والمذهبية بين السنة والشيعة والخوارج، والتي كانت تظهر بين الحين والآخر، وما كان موجود عبارة عن مراحل تاريخية استثنائية قصيرة، استطاعت فيها سلطة إسلامية واحدة أن تبسط سلطانها على معظم مدن الساحل، وتطالبها بدفع الجزية رمزاً للتبعية(٥٧).

وفي هذا السياق، نجحت ممباسا في السيطرة على مدن الساحل الشرقي خلال بضع سنوات من القرن ١٢م، كما تمكنت باتا من الاستيلاء على معظم مدن الساحل من

ماليندة شمالاً إلى كلوة جنوبا باستثناء زنجبار مطلع العقد الرابع من القرن ١٤م تحت حكم أسرة النبهانيين التي نافست سلطنة كلوة السيادة على مناطق الساحل الإفريقي، وكذلك حاولت كل من مقديشو وبمبا وزنجبار أن تفرض وحدات سياسية من ذلك النوع، وفي أواخر القرن ١٥م بلغ سلطان مدينة كلوة إلى معظم مدن الساحل الشرقي الإفريقي باستثناء مقديشو أواخر القرن ١٥م؛ حيث كانت عاصمة لدولة الزنج حتى سقطت على يد البرتغاليين أوائل القرن ١٦م(٥٨).

وما يلاحظ على هذه المدن والإمارات، تركزها على الساحل والجزر القريبة منه دون الداخل؛ بما يخدم أغراض العرب التجارية ويحميها من هجمات سكان البر الإفريقي، ناهيك عن حضور عامل المنافسة والصراع كشأن مالندي وممباسا، بجانب عدم امتلاكها تنظيمات عسكرية قوية للدفاع عن نفسها خاصةً وأن الإسلام انتشر إليها عن طريق التجارة وليس الفتح(٥٩).

ج- المظاهر الاقتصادية:

كانت التجارة هي الحافز الأول لهجرة العرب واستقرارهم في شرق إفريقيا، ما أدى إلى حدوث نهضة اقتصادية لأوجه النشاط الاقتصادي المختلفة من تجارة وزراعة ورعي وصناعة، فضلاً عن تطور أساليب المعاملات الاقتصادية، ومن ثم نجاح العرب في إخراج شرقي إفريقيا من عزلتها، وربطها بأهم مصادر الانتاج العالمي في الشرق الأقصى وبلاد البحر المتوسط(٦٠).

احتلت التجارة المركز الأول في أنشطة العرب الاقتصادية؛ إذ كانوا خلال المدة من القرن ١-١٠هـ/٧-١٦م هم سادة المحيط الهندي، والمتحكمين في التجارة بين أوروبا وآسيا عبر هذا الطريق، فاتسع دور العرب في شبكة التبادل التجاري بين منتجات الشرق الأقصى ومنتجات شرق إفريقيا، وأصبح هناك مراكز تجارية مهمة على امتداد هذا الطريق من الصين شرقاً إلى أوروبا غربا(٦١)، وقد أشار عدد من الرحالة العرب والأجانب إلى ازدهار الحركة التجارية بين الجزيرة العربية وشرق إفريقيا(٦٢).

ويأتي الذهب في مقدمة المنتجات التي اشتهرت بها شرق إفريقيا، وبالذات منطقة سفالة التي أطلق عليها سفالة الذهب بحسب المصادر العربية(٦٣)، التي تؤكد أن التجار العرب كانوا يحملون بضائعهم التي يرغب بها سكان منطقة سفالة ليأخذوا بدلها الذهب(٦٤)، وبالإضافة إلى ذلك اشتهرت شرق إفريقيا بإنتاج الحديد، والفضة، والعاج(سن الفيل)، والعنبر، والصمغ، واللبان، والبخور، وجوزة الطيب والقرفة، والقرنفل، والفلفل، وزيت النخيل، والأخشاب، والجلود، وبعض الحيوانات مثل النمور والفيلة والزرافات، وكذا الرقيق(٦٥).

ولم يقتصر نشاط العرب الاقتصادي على التجارة فقط، بل امتد أثره إلى الزراعة، التي ازدهرت بفعل اشتغال العرب بها وتعليمها لجيرانهم الأفارقة، فأدخلوا زراعة قصب السكر والسمسم الهندي والتوابل وغيرها من الزراعات والفواكه كالليمون والموز التي لم يكن يعرفها ساحل إفريقيا الشرقي من قبل؛ حين اتسم بزراعة أنواع بسيطة من الغلات مثل اللوبيا والزنجبيل(٦٦).

وقد كان لتواجد العرب في شرق إفريقيا أثره على الاهتمام بالثروة الحيوانية فأدخلوا تربية الإبل والأبقار والأغنام والماشية والخيول(٦٧)، بجانب ازدهار بعض الصناعات وعلى رأسها صناعة المنسوجات القطنية والصناعات التعدينية المتصلة باستخراج معادن الذهب والحديد والفضة، كما ترتب على اتساع التبادل التجاري للعرب - شرقاً إلى الهند والصين وغرباً إلى أوروبا - وجود عملة تستخدم وسيلة للتبادل التجاري بدلاً عن طريقة المقايضة التي كانت سائدة آنذاك(٦٨)، وقد عثر على عدد من العملات النحاسية التي كان يستخدمها أمراء شرق إفريقيا في عصور مختلفة(٦٩)، مع بعض البقايا لمنتجات الشرق الأقصى التي كان يجلبها العرب إلى شرق إفريقيا.

د- المظاهر الاجتماعية:

ترك الإسلام أثره الحضاري في سائر المجتمعات التي تواجد فيها العرب وانتشر بها الإسلام، وفي مقدمتها مجتمع شرق إفريقيا، الذي كان أثر العرب فيه قوياً وعميقاً، ولمسه جل الرحالة في معاملات الناس وعاداتهم وتقاليدهم الحياتية اليومية، أو في المناسبات، ويمكننا عن طريق المعطيات التي دونها الرحالة العرب والأجانب، تقديم صورة تقريبية عن مظاهر الحضارة الإسلامية في المجال الاجتماعي لمجتمع شرق إفريقيا.

إذ كان ذلك المجتمع يتكون من أجناس متعددة من العرب والأفارقة(السكان الأصليين) والفرس والهنود(٧٠)، وتبعاً لذلك فإن الساحل الشرقي لإفريقيا لم يصطبغ تماماً بالصبغة العربية؛ إذ تبادل العرب عمليات التأثير والتأثر فيما يخص العادات والتقاليد، خاصةً مع السكان الأصليين الأفارقة(٧١)، وإن كان التأثير الحضاري العربي أقوى آنذاك، مع التسليم بتفاوت تلك القوة من مكان إلى آخر على ذلك الساحل(٧٢).

كان لسمو الحضارة الإسلامية وتعديها الحاجز اللوني أثره في انتشار الإسلام في مجتمعات ساحل شرقي إفريقيا، وتهيئة الظروف الموضوعية لتغيير علاقات الزواج في تلك المجتمعات، ومن ثم ظهور مجتمع مزيج باسم الشعب السواحلي؛ نتيجة الزيجات التي تمت على مدى طويل بين الجاليات العربية والفارسية وبين قبائل البانتو الإفريقية، ما أدى إلى اعتناق السواحلية الإسلام وتقليدهم العرب في كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية، فضلاً عن تعدل ملامحهم وصفاتهم الجسمية جراء امتزاجهم بالدماء الأسيوية(٧٣).

وقد حاول بعض الرحالة الأوروبيين تقسيم مجتمع شرق إفريقيا إلى عدة طبقات، على رأسها الارستقراطية العربية الحاكمة ثم المولدين فالهنود الذين يمارسون التجارة وبعض الأعمال المالية واليدوية وفي آخر الهرم الاجتماعي يأتي العبيد المشتغلين بالزراعة وخدمة الحريم(٧٤).

على أن الإشارات المصدرية التي تركها لنا بعض الرحالة العرب عن مجتمع شرق إفريقيا تحيلنا على عدم وجود تمييز أو فصل بين الطبقات بتلك الحدة، وتظهر وجود نوع من التعايش والقرب بين تلك الطبقات، وهو ما ينطبق على الطبقة العربية الحاكمة؛ بدليل أن ابن بطوطة ذكر أن المظفر حسن المكنى أبا المواهب حاكم كلوة "له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم"(٧٥).

رسم ابن بطوطة صورة زاهية عن مدى التقدم الحضاري لمجتمع شرق إفريقيا، وأثر العرب القوي في ذلك قبيل وصول البرتغاليين إليها، فوصف عادات الناس في المأكل والملبس والضيافة وتقاليد مراسيم السلطنة، إذ أشار إلى الأطعمة المتنوعة من اللحم والأرز والسمك، وبعض الخبز من الذرة والفاكهة المتنوعة، وإلى صحاف الخشب التي تستخدم أواني للأكل، فضلاً عن تقاليد السلطنة العربية وما وصلت إليه من تطور وتقدم؛ من خلال جلوس السلطان على العرش وإحاطة الأمراء والوزراء ووجوه القادة به كل حسب مرتبته، فضلاً عن استخدام الطبول وآلات الموسيقى عند جلوس السلطان أو استقباله للضيوف الكبار، الذين خصص لهم دار باسمهم وعين مندوبين لاستقبالهم في الموانئ(٧٦).

كما ترك الرحالة وصفاً للمنازل وأثاثها؛ فمنازل الأغنياء الحجرية تحتوي على أثاث فاخر وغطيت أرضية بعضها بأنواع من السجاد الذي يحيل على تأثيرات فارسية، بينما منازل الفقراء تحتوي على بعض الأسرة، وفي الوقت ذاته تمت الإشارة إلى بعض أدوات وأواني حفظ الأطعمة والمياه من البرسلين الصيني والصوان والأطباق النحاسية والأصداف البحرية وبعض وسائل الإضاءة كالمصابيح الفخارية والشمع(٧٧).

وفيما يخص الملابس وأدوات حفظها وزينة المرأة ومكانتها في مجتمع شرق إفريقيا، ترك بعض الرحالة إشارات مهمة عن ذلك، إذ يبدو أن الملابس كانت تختلف باختلاف المستوى الاجتماعي فالأغنياء يلبسون ملابس حريرية وعمائم، بينما الرجل العادي لا يتعدى لباسه قميصاً وفوطة قطنية تشد على الوسط وتتدلى على الجزء الأسفل من الجسم، وتحفظ الملابس في صناديق خشبية، أما المرأة الـ تي رفع الإسلام مكانتها الاجتماعية، فكانت تتحلى بقلائد وأساور وأقرطة ذهبية وفضية، وقد عثر على بعض منها، بجانب أدوات للزينة وحفظ المساحيق التي تشبه الكحل(٧٨).

هـ- المظاهر الثقافية:

تعد المظاهر الثقافية والفكرية من أقوى مظاهر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا، ويمكن توضيحها من خلال الدين واللغة وما يرتبط بهما من مؤسسات ووسائل لنشرهما.

أسهم التجار العرب بدور كبير في نشر دين الإسلام وحضارته في ساحل شرق إفريقيا، سواء أولئك الذين استقروا على طول ذلك الساحل قبل الإسلام ثم اعتنقوه بعد ظهوره(٧٩)، أو الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي بعد الإسلام، لغرض التجارة التي يسرت لهم سبل الاتصال بالسكان ودعوتهم إلى الإسلام(٨٠)، ما أدى إلى تعديل كثير من معتقداتهم وعاداتهم في عبادة السلف، وتقديم

القرابين والأضحيات والذبائح والنذور لاسترضاء الموتى وكشف الغيب(٨١).

وقد ترك لنا ابن بطوطة في رحلته إشارات مصدرية مختلفة عن انتشار الإسلام ومؤسساته في شرق إفريقيا، لا سيما في المدن التي زارها في مقديشو وممباسا وكلوة، حيث ذكر غلبة التدين والصلاح على الحكام والأهالي، وانتشار المذهب الشافعي والمساجد المبنية من الخشب وكذا جلوس الفقهاء والقضاة وذوي الرأي للنظر في شكاوى الناس وقضاياهم، والرفع فيما أشكل منها إلى السلطان للبت فيها بما يتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية(٨٢).

وفي الإطار نفسه، أدت العلاقات القوية بين العرب وسكان الشرق الإفريقي إلى انتشار تعلم القرآن الكريم وعلوم الشريعة الإسلامية، عبر المدرس الإسلامية التي كانت ملحقة بالمساجد باسم الكتاتيب، كما نشطت الحركة الثقافية في شرق إفريقيا بانتقال الخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م؛ حيث أصبح لمسلمي بعض مناطق شرق إفريقيا أروقة خاصة في الأزهر الشريف واشتهر منهم علماء ومحدثون وخطباء أسهموا في نشر الدين الإسلامي وحضارته في الساحل الشرقي لإفريقيا(٨٣).

وتعد اللغة العربية من أقوى مظاهر الحضارة الإسلامية الثقافية لدى سكان شرق إفريقيا، إذ تولد عن المعاملات التجارية والامتزاج بين العرب والأفارقة لغة خليطة بين لهجات البانتو واللغة العربية، وهي اللغة السواحلية التي تحفل بالعديد من المفردات العربية فضلاً عن التراكيب والمكونات اللغوية الأخرى وعلى رأسها الأدب، بحيث أصبحت هذه اللغة من أهم المقومات الحضارية لشرق إفريقيا، والتي تجسد الامتزاج الحقيقي بين الحضارتين العربية الإسلامية والتقاليد والعادات الإفريقية(٨٤).

وقد كان للتجارة ومعاملاتها بين العرب والأفارقة دور كبير في نشر اللغة العربية، وبخاصةً مفرداتها التجارية، بالإضافة إلى الدين الإسلامي الذي جعل اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبالتالي انتشرت مدارس تعليم اللغة العربية، بالتوازي مع مدارس القرآن الكريم، وكثر العلماء الذين يجيدون قراءة الكتب الدينية باللغة العربية، دون أن يعني ذلك أن اللغة العربية قد أصبحت هي لغة التخاطب بين سكان شرق إفريقيا الأصليين، بقدر ما كانت لغة تخاطب الجاليات العربية المقيمة، ولغة القراءة والكتابة والتأليف فقط بالنسبة للأفارقة(٨٥).

وهكذا يتضح مما سبق، انتشار الإسلام وازدهار حضارته في الساحل الشرقي من إفريقيا في مظاهر متعددة، في مقدمتها الجانب الاقتصادي والتجاري، الأمر الذي أغرى البرتغاليين على استعمار شرق إفريقيا واستغلال مقدراتها الحضارية بصورة سلبية.

ثانيًا: الحملات البرتغالية وخطرها على الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا:

أرسل البرتغاليون إلى شرق إفريقيا عدداً من الحملات العسكرية، واستخدموا ضد مسلميها وحضارتهم أساليب ووسائل متعددة وصفت بالوحشية و اللا إنسانية، فما هي دوافع البرتغاليين من استعمار شرق إفريقيا؟ وكيف كانت أوضاع الشرق الإفريقي عند وصول البرتغاليين؟ ثم ما أبرز الحملات البرتغالية التي وصلت إلى شرق إفريقيا؟ وما الأخطار التي شكلتها على الحضارة الإسلامية هناك؟

١- دوافع الاستعمار البرتغالي لشرق إفريقيا:

كان الاقتصاد والدين ومن بعدهما السياسة وراء دفع البرتغاليين لاستعمار شرق إفريقيا والقضاء على حضارتها الإسلامية، وسوف نوضح ذلك كما يأتي:

أ- الدوافع الاقتصادية:

تعد هذه الدوافع الحافز الرئيس لوصول البرتغاليين إلى الشرق عموماً وشرق إفريقيا خصوصاً بغرض الحصول على منتجات التجارة الشرقية من مصادرها الأصلية بأقل الأثمان، عبر اكتشاف طريق تجاري جديد لا يمر بالبلاد الإسلامية، ومن ثم احتكار تلك التجارة وإعادة توزيعها إلى الأسواق الأوروبية بدلاً عن المسلمين وحرمان البلاد الإسلامية من العوائد المالية لتلك التجارة، بما من شأنه تدهور الاقتصاد الإسلامي وانهياره وضرب المقومات الاقتصادية للحضارة الإسلامية(٨٦).

وقد تمكن البرتغاليون من تحقيق ذلك إثر اكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح الموصل بحراً إلى الهند، حيث احتكروا تجارة الشرق وبالخصوص تجارة شرق إفريقيا، وفي مقدمتها الذهب والعاج والرقيق(٨٧)، إذ عملوا في البداية على اتخاذ

ساحل شرق إفريقيا وبالذات موزمبيق– جنوب الساحل– قاعدة ملاحية في الطريق إلى الهند، ثم اتجهوا إلى استغلال المنطقة من خلال تعزيز سيطرتهم على الساحل وعزله عن الداخل، الذي كان يمده بالسلع التجارية التي يتم تصديرها إلى أسواق الجزيرة العربية والهند والشرق الأقصى(٨٨)، مع محاولة السيطرة على إمبراطورية المونوموتابا الداخلية التي ذاعت شهرتها بسبب مناجم الذهب الذي حاول البرتغال المتاجرة به بدلاً عن العرب، وكذا انتزاع مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في الداخل بالقوة واستغلالها لصالحهم، ما أدى إلى نشأة طبقة من الاقطاعيين البرتغاليين(٨٩) كما منعوا السفن الإسلامية من مزاولة نشاطها التجاري في الطريق الجديد، إلا بعد الحصول على ترخيص(قرطاس)تدفع السفينة بموجبه مبلغ مالي للبرتغاليين ويحدد لها الطريق الذي ينبغي أن تسلكه(٩٠) أو التعرض لتلك السفن بتفتيشها ونهبها وإحراقها وقتل بحارتها، بما يعزز الهيمنة البرتغالية على التجارة الإسلامية وطرق مواصلاتها ويؤثر سلباً على المسلمين وحضارتهم(٩١).

ب– **الدوافع الدينية:**

تعد هذه الدوافع من الأهمية بمكان في توجيه الحملات البرتغالية صوب شرق إفريقيا؛ بغرض القضاء على الإسلام ومظاهر حضارته، ونشر المسيحية بدلاً عنه(٩٢)، انعكاساً لأصداء الصراع المسيحي الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، وامتداداً انتقامياً لفشل الحروب الصليبية في القرون الوسطى وتحديداً خلال القرنين ١٢ و١٣م(٩٣)، وإن كان بعض المؤرخين يعتبر الدافع الديني ستاراً برتغالياً لكسب تأييد العالم المسيحي في سبيل تحقيق الدافع الاقتصادي الأهم(٩٤).

ولعل ما يدلل على حضور الدافع الديني مباركة البابوية وتشجيعها لتلك الحملات وتشبيهها الإسلام وحضارته بمرض الطاعون، وإصدارها الأوامر برسم صورة الصليب على أشرعة السفن وملابس بحارتها، وكذا رسم صليب ضخم على علم يتم وضعه في مقدمة السفن(٩٥)، فضلاً عن تصريح عدد من ملوك البرتغال وقادتهم بتلك الدوافع واعتبارهم الإسلام عدواً لدوداً يجب قتاله دون هوادة(٩٦).

وتتجسد هذه الدوافع من خلال سعي البرتغاليين للوصول إلى مملكة الحبشة المسيحية والتحالف معها لتطويق العالم الإسلامي، بالإضافة إلى تأسيس عدد من مراكز التبشير المسيحية في ساحل شرق إفريقيا أبرزها في ممباسا وموزمبيق، وكذا التوغل نحو الداخل الغني بالثروات وتحديداً مملكة مونوموتابا(٩٧)، ناهيك عن محاولات ضرب مقومات الحضارة الإسلامية بشرياً ومادياً وفكرياً، من خلال قتل المسلمين بمختلف أعمارهم وأجناسهم، وتدمير المساجد واستبدالها بالكنائس، وكذا عمليات التنصير القسري للمسلمين(٩٨)، وإرسال عدد من الشبان الأفارقة إلى الهند لتعلم المسيحية في مدارس اللاهوت ومن ثم العودة للتبشير بها في بلادهم(٩٩).

ج– **الدوافع السياسية:**

تتضح هذه الدوافع من خلال سعي البرتغاليين لتأسيس إمبراطورية توسعية تشمل الساحل الشرقي لإفريقيا(١٠٠)، الذي أصبح أحد الأقسام الإدارية السبعة لإمبراطوريتهم بعد سيطرتهم على الممالك الإسلامية واتخاذهم موزمبيق مركزاً لإدارة هذا القسم(١٠١).

فقد كانت منطقة ساحل شرق إفريقيا من الأهمية بمكان بما يحقق دوافع البرتغاليين مجتمعة فبالسيطرة عليها يمكن للبرتغاليين اتخاذ موانئ ذلك الساحل محطات تمد سفنهم الذاهبة إلى الهند أو الآتية منها بالمياه والعتاد والمؤن(١٠٢)، ومن ثم احتكار تجارة التوابل الهندية والذهب الإفريقي بين الشرق الأقصى وأوربا بدلاً عن العرب المسلمين، خاصة أن التجار في الهند لا يبيعون إلا بالذهب، ناهيك عن اتخاذها قواعد مهاجمة للجزيرة العربية والخليج، والتحالف مع مملكة القديس يوحنا في الحبشة، ضد المدن والإمارات الإسلامية المعادية لها في الشرق الإفريقي(١٠٣).

٢–أوضاع الشرق الإفريقي عند وصول البرتغاليين:

كان ساحل شرق إفريقيا– وتحديدًا القسم الجنوبي المطل على المحيط الهندي– مزدهر حضاريا، بما أدهش البرتغاليين حال وصولهم إليه، سيما في المجالات الاقتصادية والعمرانية والسياسية؛ إذ ازدهرت تجارة الذهب والعاج والرقيق، ونمت ثروة المراكز التجارية(١٠٤)، وزادت الاتصالات التجارية بين موانئ الشرق الإفريقي والشرق الأقصى(١٠٥)، كما اتسعت المدن وبلغت مستوىً حضارياً راقياً في العمارة والفن، واتسع سلطان كلوة عاصمة دولة الزنج

إلى أغلب مدن الساحل الشرقي الإفريقي حتى نهاية القرن ١٥م حينما بدأ عصرها الذهبي بالأفول بسبب الصراعات المستمرة بين الإمارات والمدن الخاضعة لها والانقسام الداخلي في حكومة كلوة المركزية بعد وفاة آخر سلاطينها الأقوياء أبو المواهب(١٠٦)، بجانب ضعف الروح العسكرية وتفكك القوات(١٠٧).

٣- الحملات البرتغالية لاستعمار شرق إفريقيا:

تنوعت خطوات البرتغاليين وخططهم لاستعمار الساحل الشرقي لإفريقيا، إذ أرسلوا بدايةً رحلات استكشافية ثم أتبعوها بحملات عسكرية استعمارية، واستخدموا شتى وسائل القمع والاضطهاد والتدمير لتحقيق ذلك، مستغلين فرصة النزاع والانقسام الذي كان سائداً بين المدن والموانئ الساحلية لتوطيد سيطرتهم على ساحل شرقي إفريقيا.

- **الرحلات الاستكشافية:**

كان بارثلوميو دياز أول برتغالي وصل إلى الساحل الشرقي لإفريقيا سنة ١٤٨٧م، في إطار محاولات الدوران حول إفريقيا والوصول إلى الهند، حيث اجتاز في طريق عودته إلى لشبونة رأس العواصف – الذي سمي فيما بعد رأس الرجاء الصالح – قبل داجاما بحوالي عقد من الزمن(١٠٨)، وفي السنة نفسها وصل إلى شرق إفريقيا الرحالة بيدرو دي كوفيلهام الذي زار أغلب المناطق العربية في الساحل الشرقي حتى وصل سفالة جنوبا(١٠٩)، لافتاً الانتباه لأهمية شرق إفريقيا وممهداً لرحلات برتغالية أخرى إليها(١١٠).

وفي سنة ١٤٩٨م وصل فاسكو داجاماإلى ساحل شرق إفريقيا، فتوقف عند ثغر سفالة قرابة شهر بغرض التمرين وإصلاح السفن(١١١)، والتأكد من أنها أرض الذهب الذي لا ينضب(١١٢)، ثم وصل إلى موزمبيق واستقبل بالترحاب أول الأمر من قبل الملك والأهالي؛ لاعتقادهم بأنهم مسلمين لكن سرعان ما تبدل ذلك الموقف حينما عرفوا بحقيقة البرتغاليين الدينية والاستعمارية(١١٣).

لم يتعرض داجاما للسفن التجارية التي كانت راسية في ميناء موزمبيق؛ حتى لا تتكشف خطته القاضية بالتعامل الودي مؤقتاً مع سكان المناطق التي سيمر بها، لكن سرعان ما لبث أن كشف عن نواياه بقصف المدينة وتدميرها بعد رفض بعض المرشدين البحارة من أتباع حاكم موزمبيق التعاون مع البرتغاليين حينما عرفوا بأنهم مسيحيون، وهو ما ترك لدى بقية سكان الساحل الإفريقي انطباعاً مبكراً عن وحشية الغزاة القادمين إليهم(١١٤).

فقد وصلت تلك الأخبار إلى كلوة وممباسا وشاع فيهما القلق والخوف، ولذا لم يجد داجاما ترحيباً من قبل الحاكم والأهالي في كلا المدينتين حين وصل إليهما، ما اضطره إلى الإبحار بأسطوله صوب مالندي منافسة ممباسا؛ حيث استقبله حاكمها وزوده بالمؤن وبمرشد بحري – قيل إنه الربان العربي أحمد بن ماجد– ليدله على الطريق إلى الهند(١١٥)، كما طلب منه أن يعرج على مالندي حال عودته من الهند كي يبعث معه وفداً بقصد مصادقة ملك البرتغال(١١٦).

وبعد أن نجح داجاما في الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في أغسطس ١٤٩٨م مر–قبل عودته إلى لشبونه– بالساحل الشرقي لإفريقيا في يناير ١٤٩٩م، فقصفت مدافعه ميناء مقديشو في شمال الساحل وعدد من السفن العربية في لامو باتجاه الجنوب، ثم توقف في مالندي للاستراحة والتزود من سلطانها بالمؤن والمرشدين والهدايا لملك البرتغال، وبعدها مر بموزمبيق ثم نجح في الدوران حول رأس الرجاء الصالح في مارس ١٤٩٩م، ووصل إلى لشبونه في سبتمبر ١٤٩٩م إثر إدراكه الأهمية الاستراتيجية والحضارية لساحل شرق إفريقيا بالنسبة لإمبراطورية البرتغال(١١٧) التي سارعت لتدشين مرحلة جديدة تضمن لها السيطرة على الساحل الشرقي لإفريقيا والبقاء فيه.

- **الحملات العسكرية الاستعمارية:**

خلال سنة ١٥٠٠م وصل كابرال بحملة عسكرية إلى ساحل شرق إفريقيا وتوقف قبالة مرفأ سفالة حيث علم أنها خاضعة لسلطان كلوة، فأبحر قاصداً مقابلة سلطانها إبراهيم الذي كان قد حصن المدينة وجند مئات الأفارقة من حملة السهام والأقواس للدفاع عنها من البرتغاليين، وفي الوقت نفسه حاول تجنب التصادم معهم بتقديمه قوارب من الطعام والماعز لهم ودعوة كابرال للنزول إلى الشاطئ والتفاوض معه لكنه تخوف ورفض ذلك، فأوهمه السلطان بأنه سيقابله بنفسه بينما أرسل مندوباً عنه مع وفد رسمي وحينها سلمه كابرال رسالة من الملك البرتغالي بالعربية تفيد برغبة البرتغال في

الحصول على ذهب سفالة، وإنشاء مركز تجاري في كلوة، وتخلي الأهالي عن الإسلام واعتناق المسيحية، وهو ما تم رفضه ومن ثم مغادرة كابرال كلوة متوعداً بمعاقبتها بعد أن اكتشف خدعة السلطان، فتوقف في مالندي وقدم هدية من ملك البرتغال لحاكمها الذي زوده بالمؤن وشكا له حرب ممباسا عليه عقاباً لصداقته للبرتغال فوعده بالنظر في أمرها لاحقاً، ثم توجه صوب الهند ومر بمالندي في طريق العودة ووصل لشبونة في يوليو ١٥٠١م(١١٨).

وفي سنة ١٥٠٢م وصل داجاما ثانية إلى شرق إفريقيا في طريقه إلى الهند، حيث نزل بحملته العسكرية في كلوة وأجبر حاكمها– تحت التهديد بإحراق المدينة– على توقيع معاهدة يعترف فيها بالسيادة البرتغالية على بلاده ويدفع ضريبة سنوية من الذهب(١١٩)، وتوعده بالنفي إلى الهند والتخلص منه حال عدم تنفيذ هذه المعاهدة(١٢٠)، وتبع ذلك خضوع زنجبار التي وصفها البرتغال بجزيرة خضراء ناضرة تعج حدائقها بالخضروات والفواكه(١٢١)، وأقام داجاما مراكز لتجارة التوابل فيها وكذا في سفالة وموزمبيق، كما استولى على عدد من السفن العربية التي تصادف وجودها في مالندي حليفة البرتغال، ثم انطلق صوب الهند التي عاد منها إلى لشبونة في ديسمبر ١٥٠٣م حاملاً ثروة عظيمة سلبها من السفن العربية والإسلامية(١٢٢).

وبحلول سنة ١٥٠٥م اتخذت البرتغال الاستعدادات لتثبيت أقدامها في المناطق الاستراتيجية والتجارية المهمة بالساحل الشرقي لإفريقيا، والقضاء على نفوذ العرب التجاري والسياسي وتدمير مقدرات الحضارة الإسلامية هناك، ولذا غادر لشبونة اسطول كبير من ٢٣ سفينة تحت إمرة فرانسيسكو دا الميدا(١٢٣) الذي نجح في الاستيلاء على سفالة وتأسيس مركزين تجاريين فيها للاستحواذ على مصادر الذهب(١٢٤)، ثم توجه صوب كلوة لمعاقبة سلطانها على عدم تنفيذ المعاهدة التي أبرمها مع داجاما سابقاً، فتم حصارها والاستيلاء عليها بعد قتال عنيف وقصف بالمدفعية، وعاث البرتغال في المدينة نهباً وسلباً وقتلاً، ثم شيدوا حصناً منيعاً في مينائها وعينوا له قائداً وحامية مؤلفة من ١٥٠ جندي وسفينة حربية، كما تم تعيين حاكم للمدينة يدين للولاء للبرتغال إثر فرار سلطان كلوة مع زوجاته إلى المناطق الداخلية(١٢٥).

تقدم دا الميدا بجنوده صوب مدينة ممباسا بغرض السيطرة عليها؛ نظراً لأهميتها الاستراتيجية والتجارية مع سفالة، ولتمتعها بمرفأين مهمين لحماية السفن البرتغالية من العواصف، ومواقفها العدائية تجاه البرتغاليين وحليفتهم مالندي(١٢٦)، وكانت ممباسا آنذاك مدينة عظيمة يقدر سكانها بعشرة آلاف نسمة(١٢٧)، ووصفها العرب بأنها أروع مدينة في الساحل الإفريقي تتمتع بحصن دفاعي مهم شيده سلطان ممباساالذي أختار مقاومة البرتغاليين على مسالمتهم، وحشد ألوف المحاربين من السواحليين والعرب والأفارقة لذلك الغرض(١٢٨).

ونظرًا لذلك، فقد تعرضت ممباسا لأحداث قاسية من الحصار والحرب والنهب والقتل والحريق أكثر من أي مدينة أخرى، حتى إنها سميت بمدينة الحرب(١٢٩)، حيث استبسل أهالي ممباسا في مقاومة البرتغاليين في سائر أرجاء المدينة وشوارعها الضيقة، لكن الأسلحة النارية البرتغالية وفي مقدمتها المدفعية– مقابل سهام وحجارة المباسيين – حسمت المعركة لصالح البرتغاليين الذين تمكنوا من قصف مخزن البارود في حصن ممباسا وتدميره، ومن ثم نهب المدينة وإحراق أغلب دورها بما فيها من سكان بمختلف أعمارهم وأجناسهم، حتى الطير احترقت في الجو، وانتشرت رائحة الجيف، ونهبت ثروة طائلة من الذهب والحرير والسجاد، كما ورد في رسالة سلطان ممباسا–الذي نجا مع قسم من السكان– إلى سلطان مالندي، في محاولة للتصالح معه والوقوف معاً ضد البرتغاليين لكن دون جدوى؛ لرفض سلطان مالندي حليف البرتغال عرض التصالح رغبةً في القضاء على خصمه وتحقيق مطامعه السياسية(١٣٠).

أثار سقوط كلوة وتدمير ممباسا شهية البرتغاليين في استكمال السيطرة على الساحل الشرقي لإفريقيا وتحقيق دوافعهم، إذ أرسلوا سنة ١٥٠٦م أسطولاً كبيراً من ٤٠ سفينة إلى شرق إفريقيا بقيادة البوكرك(١٣١) الذي اتسم بقسوة بالغة ذات طابع صليبي حاقد على الإسلام وحضارته، حيث باشر فور وصوله إلى الساحل الإفريقي بإرسال مبعوثين من قبله إلى الملكة هيلين ملكة الحبشة(أثيوبيا حالياً)؛ بهدف تكوين

حلف مسيحي ضد الإسلام ومقدساته وحضارته، وكتب مبالغاً إلى الملك البرتغالي بامتداد نفوذ مملكة الراهب يوحنا إلى مصادر الذهب في أغلب ساحل شرق إفريقيا وأجزاء من الداخل(١٣٢).

وقد توجه البوكرك بعد ذلك صوب مالندي حليفة البرتغال، حيث أشار عليه سلطانها بضرورة تأديب خصمه حاكم ميناء أوجه شمال مالندي ذي القرابة مع سلطان ممباسا، والذي رفض طلب البوكرك بدفع ضريبة مالية للبرتغال، كونه يدين بالولاء للسلطان المملوكي في القاهرة(١٣٣)، ولا يعترف بالمسيحيين الذين طاردوا التجار المسلمين وقتلوهم في المحيط الهندي، ما أثار حفيظة البوكرك الذي هاجم الميناء بقواته وقتل الحاكم بنفسه، كما تم نهب المدينة وإشعال النار فيها، ثم استولى البوكرك على لامو التي سلمت من الدمار بعد أن تعهد حاكمها بدفع ضريبة سنوية للبرتغال، وهو مالم يحدث في برافا التي قتل ما يزيد على الف من سكانها، وتم تدمير منازلها الحجرية بعد أن نهبت لمدة ٣ أيام، وتم جمع المئات من الخواتم والأساور والأقراط الثمينة من النساء المسلمات بقطع أصابعهن وأذرعهن وآذانهن(١٣٤).

واصل البرتغاليون حملاتهم العسكرية لاستكمال السيطرة الاستعمارية على ساحل شرق إفريقيا، إذ سقطت موزمبيق في يد القائد دورات داميللو سنة ١٥٠٧م، واهتم البرتغاليون بتحصينها وبنوا فيها معسكراً ومستشفى وكنيسة، كما اتخذوها مركزاً رئيساً للإشراف على مختلف أوجه النشاط في شرق إفريقيا، وفي سنة ١٥٠٩م عين ألبرت غال حاكماً للمستعمرات البرتغالية في شرق إفريقيا، واتخذ موزمبيق مقراً رئيساً له(١٣٥)، ضمن السياسة البرتغالية المتمحورة حول الارتكاز في القسم الجنوبي من الساحل الشرقي المطل على المحيط الهندي خاصةً مع اعتدال مناخه وقربه من مناجم الذهب، والاكتفاء بمحالفة حكام مالنده ودعمهم عسكرياً في القسم الشمالي(١٣٦).

وهكذا لم تأت سنة ١٥٠٩م إلا وكانت جميع المدن والمراكز التجارية بساحل إفريقيا الشرقي قد خضعت للبرتغاليين، من سفالة جنوباً إلى براوة شمالاً، بالإضافة إلى جزر زنجبار وبمبا ومافيا وكذا موزمبيق(١٣٧)، لمدة ٢٠٠ عام تقريبا(١٤٩٨-١٦٩٨م)، ويبدو أن انتصار البرتغاليين في ديو سنة ١٥٠٩م على القوة المملوكية الإسلامية أسهم في تخوف القوى الإسلامية وتعزيز الاستعمار البرتغالي في ساحل شرق إفريقيا ومن ثم مواجهة مقاومة مهمة من الأهالي.

ج- تشكل النواة الأولى لمقاومة البرتغاليين:

أخذ العرب يحرضون أهالي الساحل الشرقي لإفريقيا على مقاومة البرتغاليين وطردهم من المراكز التجارية التي كانوا هم المتصرفين فيها، وكانت ممباسا هي التي بدأت حركة المقاومة العربية الإسلامية ضد الاستعمار البرتغالي؛ إذ حاول سلطان ممباسا سنة ١٥٢٨م تحريض أهالي زنجبار وبمبا على طرد البرتغاليين، لكنهم خشوا العاقبة فوشوا به لدى السلطات البرتغالية، التي أسرعت بحصار ممباسا وعرضت على سلطانها معاهدة اشترطت - مقابل فك الحصار- دفع فدية للبرتغال والتعهد بعدم الاتصال بالعثمانيين(١٣٨)، ولما تم مقاومة البرتغاليين قام القائد البرتغالي نونو دا كونها سنة ١٥٢٩م، بتدمير جزءٍ مهم من ممباسا ودورها، لكن سلطانها استطاع الصمود ومقاومة الهجوم البرتغالي الجديد سنة ١٥٥٥م لمعاقبته على التواصل مع العثمانيين(١٣٩) الذين دخلوا ميدان الصراع مع البرتغاليين في سواحل شرق إفريقيا بعد ذلك ثم تلاهم العمانيون.

ثالثًا: جهود العثمانيين والعمانيين في مقاومة البرتغاليين ونشر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا

بعد انكشاف حقيقة الاستعمار البرتغالي وأهدافه الساعية لمحاربة الإسلام وتدمير مقوماته الحضارية في شرق إفريقيا، برز دور القوى الإسلامية والعربية - ممثلةً بالعثمانيين والعمانيين- في مقاومة البرتغاليين والدفاع عن الحضارة الإسلامية ونشرها في الساحل الشرقي لإفريقيا وبالتحديد في قسمه الجنوبي المطل على المحيط الهندي محط الاهتمام في هذا البحث، كما أسلفنا، وهو ما سنتناوله على النحو الآتي:

١-جهود العثمانيين في شرق إفريقيا خلال القرن السادس عشر:

برزت جهود العثمانيين في مقاومة الاستعمار البرتغالي

والدفاع عن الحضارة الإسلامية ونشرها في الساحل الشرقي لإفريقيا بشكل واضح في أواخر القرن ١٦م، مقترنةً بضعف البرتغال بعد انضمامها للتاج الإسباني سنة ١٥٨٠م واندلاع عدد من الثورات العربية ضد الاستعمار البرتغالي في ذلك الساحل، والتي لقيت دعماً من قبل العثمانيين على عهد السلطان مراد الثالث(١٥٧٤-١٥٩٥م)، من خلال إرسال حملتين بحريتين بقيادة القائد البحري علي بك الذي بذل جهود كبيرة في حماية البحر الأحمر من خطر البرتغاليين واسترد مسقط منهم سنة ١٥٨١م(١٤٠)، وسوف نتحدث عنهما على النحو الآتي:

- **الحملة العثمانية الأولى:**

تمت سنة ١٥٨٦م وكانت عبارة عن حملة مصغرة مؤلفة من سفينتين إحداهما قديمة والأخرى حملت ٨٠ جنديا بقيادة علي بك؛ بغرض استطلاع أوضاع الساحل الشرقي الإفريقي المطل على المحيط الهندي ومدى استعداد الأهالي هناك للثورة ضد البرتغاليين والقبول بالسيادة العثمانية، وقد وصل علي بك في البدايةً إلى مقديشو، وهناك أخبر الأهالي بأنه موفد من قبل السلطان العثماني مراد الثالث ليحررهم من الاستعمار البرتغالي وأن أسطولاً عثمانياً كبيراً سيلحق به لتحقيق ذلك الغرض(١٤١)، ما أسهم في تحمس الأهالي وحكامهم في استقبال علي بك وإشعال الثورة على المستعمرين، بحيث أعلنت كل من مقديشو وتلتها بقية مدن الساحل الشرقي التي زارها علي بك وهي براوة وقسمايو وفازا وباتا ولامو ومباسا تبعيتها للسلطان العثماني المسلم عوضاً عن الملك المسيحي فيليب الثاني(١٤٢).

وكانت مباسا أسبق مدن الساحل الشرقي في التأكيد على إخلاصها في التبعية للسيادة العثمانية الجديدة، إذ طلب سلطانها من القائد التركي بناء حصن في مباسا وتزويده بحامية تركية دائمة، وقد وعده علي بك بالعودة مجدداً إلى مباسا وتلبية ذلك الطلب بأقرب فرصة، ثم غادر صوب البحر الأحمر وفي طريقه هاجم – بمساعدة أهالي الساحل الشرقي سيما في لامو وباتا- عدداً من السفن البرتغالية وحصل على غنائم كثيرة وأسرى برتغاليين بلغ عددهم ٥٠ أسيراً وصل بهم إلى اليمن ومن هناك بعث بهم إلى استانبول سنة ١٥٨٦م(١٤٣).

لكن سلطان مالندي بعث لحلفائه البرتغال في جوا بأخبار انتصارات علي بك، فقاموا بتجهيز أسطول من ١٨ سفينة بقيادة مرتيم بوميرو، الذي تمكن من تدمير فازا بإحراق دورها ومساجدها ونخلها وسفنها مع قتل شيخها ومئات من السكان بما فيهم النساء والأطفال، وحتى الطيور والحيوانات، وكذا تدمير جزء كبير من مباسا وبساتينها؛ لاتصالها بالعثمانيين ولإجبار سلطانها على دفع مبلغ مالي كبير من الذهب مقابل الانسحاب منها(١٤٤) ومحاولة تأديب بات التي تذرع حاكمها بأن الثورة فرضت عليه من قبل العثمانيين بينما فر حاكم لامو وصمدت مقديشو بفعل قوة أسوارها ومقاومة رجالها(١٤٥).

- **الحملة العثمانية الثانية:**

تمت هذه الحملة أواخر سنة ١٥٨٨م وكانت مؤلفة من ٥ سفن على متنها جنود أجيد تسليحهم(١٤٦)، حيث استفاد علي بك من معطيات حملته الأولى واستجاب لمراسلات سكان مدن شرق إفريقيا لتخليصهم من الاستعمار البرتغالي مع استعدادهم للمساهمة في تكاليف الحملة، وذلك أثناء تواجده باليمن في قاعدته العسكرية عدن(١٤٧)، وبعد أن اطمأن على إجراءات تأمين السواحل اليمنية التي أمر السلطان العثماني والي مصر باتخاذها ضد السفن البرتغالية التي قد تهاجم السواحل اليمنية وولاية الحبش في محرم ٩٩٧هـ/ديسمبر ١٥٨٨م(١٤٨)، تحرك إلى ميناء المخا على ساحل البحر الأحمر صوب مالندي لكنه فشل في السيطرة عليها بسبب المقاومة العنيفة من قبل حاميتها البرتغالية(١٤٩)، وتوجه بعدها إلى مباسا التي استقبلته مع بقية مدن الساحل بحماس بالغ كي يحضر لمهاجمة مالندي ثانيةً، إلا أن حاكمها كرر استنجاده بالبرتغاليين في جوا، وعلى الفور وصل أسطول برتغالي كبير مكون من ٢٠ سفينة و٩٠٠ جندي إلى ميناء مباسا في ٥ مارس ١٥٨٩م بقيادة توماس كوتينهو، بعد أن مر ببراوة وأمبازا ولامو ومالندي ووطد السيطرة البرتغالية عليها(١٥٠).

وبينما عزز علي بك قواته في ميناء مباسا واستعد كوتينهو لمهاجمته، زحفت قبائل الزيمبا من الداخل الإفريقي إلى مباسا، وأصبح علي بك بين شقي الرحى، البرتغاليون من البحر والزيمبا من البر وانتهى الأمر بهزيمة علي بك

وتفريق قواته ووقوعه في الأسر، وإرساله إلى لشبونة التي قيل إنه توفي فيها بعد أن اعتنق المسيحية، فضلاً عن نهب المدينة وإحراق دورها وتهديم أسوارها الدفاعية(١٥١)، ومن ثم استعادة البرتغال سيطرتهم على المدن والإمارات العربية بساحل شرق إفريقيا المطل على المحيط الهندي باستثناء مقديشو(١٥٢).

وبالرغم من عدم نجاح الحملتين العثمانيتين في إنهاء الاستعمار البرتغالي للساحل الشرقي من إفريقيا خاصةً مع انشغال الدولة العثمانية في عدة ميادين أبرزها حماية البحر الأحمر والخليج العربي(١٥٣)، فقد نجح العثمانيون في تخفيف الضغط البرتغالي على التجار العرب والمسلمين هناك وإحباط المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة مسيحية مع الأحباش ضد القوى الإسلامية في الحبشة، من خلال دعم ممالك الطراز الإسلامي المحيطة بهضبة أثيوبيا المسيحية على الساحل الشرقي الشمالي المطل على البحر الأحمر، ومن ثم حماية الإسلام وحضارته بمقوماتها المختلفة سيما البشرية والمادية والفكرية(١٥٤).

ولأهمية ممباسا الاستراتيجية والاقتصادية ولاعتزام العثمانيين شق قناة تربط بين البحر المتوسط والمحيط الهندي مباشرة، قرر البرتغاليون تعزيز سيطرتهم على ساحل شرق إفريقيا سيما الشمالي عبر ممباسا مقابل موزمبيق في الجنوب، من خلال بناء حصن يسوع(المسيح)على مدخل الميناء سنة ١٥٩٣م بمساهمة بنائي مالندي والهند، وتم نقل حامية مالندي البرتغالية إليها وبناء عدد من الكنائس في جل مدن الساحل، وتعيين سلطان مالندي الحسن بن أحمد حاكماً لممباسا بدلاً عن سلطانها شاه بن مشعم مكافأة لتحالفه مع البرتغال، ما جعل نجم مالندي يخبو لصالح ممباسا(١٥٥).

وفي سنة ١٦٠٩م بدأت المقاومة المحلية للاستعمار البرتغالي من خلال سلسلة من الاضطرابات والثورات بين الحكام المحليين وقائد الحامية البرتغالية في حصن يسوع، إذ نشب نزاع بينه وبين حليف البرتغال الحسن بن أحمد الذي اغتيل بعد ذلك سنة ١٦١٤م، وأقيم كبير الأسرة الشيرازية وصياً على العرش، بينما أرسل ابن السلطان القتيل يوسف ذي السبع سنوات إلى جوا سنة ١٦١٥م لتربيته وتنصيره باسم جيرونيمو، ولما عاد إلى ممباسا سنة ١٦٣١م ظل يمارس الشعائر الإسلامية سراً ما دفع البرتغاليين للتخلص منه، لكنه سارع بمهاجمة حصن يسوع وقتل قائده وعدد من أفراد حاميته، وسيطر على الحصن وأعلن إعادة اسمه يوسف سنة ١٦٣١م، واشتعلت الثورة في معظم المدن الاسلامية باستثناء زنجبار وبات(١٥٦).

وآنذاك أرسل البرتغاليون أسطولاً حربياً من ٢٠ سفينة إلى ممباسا سنة ١٦٣٢م، إلا أن السلطان يوسف تمكن من الهجرة مع قومه إلى اليمن(١٥٧)، ولما علم بقدوم أسطول برتغالي جديد إلى ممباسا سنة ١٦٣٥م عاد ثانية مع العرب واستقر في مدغشقر وظل يشن الغارات على الحاميات البرتغالية حتى وفاته سنة ١٦٣٨م، وفي السنة المقبلة تمكن البرتغاليون من إعادة بناء حصن يسوع(١٥٨) وتعززت سيطرتهم على الساحل الشرقي لإفريقيا حتى حوالي منتصف القرن ١٧م(١٥٩)، حين تزعمت عمان حركة المقاومة ضد الاستعمار البرتغالي.

٢- جهود العمانيون في شرق إفريقيا خلال القرن السابع عشر:

شكلت العلاقات التجارية والروابط الدينية بين عرب عمان وشرق إفريقيا عاملاً مهماً في تدخل العمانيون لرفع النير البرتغالي على مسلمي شرق إفريقيا، ووقف خطرهم على الحضارة الإسلامية ومن ثم تمكينها من الانتشار، من خلال طرد البرتغاليين من شرق إفريقيا ووقف أساليبهم التدميرية لمقومات حضارتها الإسلامية.

فعلى إثر نجاح دولة اليعاربة(١٦٢٤-١٧٤١م) التي أسسها الإمام ناصر بن مرشد(١٦٠) في طرد البرتغاليين من عمان والخليج العربي وتحديداً من مسقط سنة ١٦٥٠م على عهد الإمام سلطان بن سيف(١٦٤٩-١٦٦٩م)، استنجد مسلمي ساحل شرق إفريقيا الجنوبي المطل على المحيط الهندي وفي مقدمتهم سكان ممباسا وزنجبار وبمبا بالإمام سلطان ليخلصهم من الاستعمار البرتغالي، الذي كانوا مستمرين في مقاومته بمفردهم حتى ذلك التاريخ، وقد لبى الإمام نداء الاستغاثة وأرسل اسطوله إلى سواحل شرق إفريقيا عامي ١٦٥٠ و١٦٥٢م، بينما أرسل البرتغاليون الكابتن فرانسيسكو كابريرا سنة ١٦٥١م بقوة بحرية لمواجهة العمانيين، الذين هاجموا الحامية البرتغالية في زنجبار وأبادوا

معظم أفرادها بما فيها قائدهم(١٦١)، كما استولوا على فازا وباتا، الأمر الذي شجع معظم الحكام المحليين في الساحل على نقض مواثيقهم السابقة مع البرتغاليين(١٦٢)، وذهبت جهود كابريرا أدراج الرياح بحسب الوثائق البرتغالية(١٦٣).

شجعت الانتصارات العربية ونشوب الثورات المحلية في ساحل شرق إفريقيا الإمام سلطان على الاستمرار في مهاجمة المواقع البرتغالية، فقاد الأسطول العماني الجديد الذي وصل إلى الساحل سنة ١٦٦٠م بنفسه وحاصر الحامية البرتغالية في ممباسا، ثم شن هجمات متتالية على امتداد الساحل حتى رأس دلجادو جنوباً، وبحلول أغسطس ١٦٦٢م كانت سفن اليعاربة تمتلك السيطرة على كل الساحل باستثناء ممباسا التي استمر حصارها لمدة ٥ سنوات بمساعدة القبائل المحلية، ما أجبر الحامية البرتغالية على الاستسلام سنة ١٦٦٥م(١٦٤) خاصةً مع عدم تمكن البرتغاليين من نجدتها، حيث تم تعيين محمد بن مبارك المزروعي والياً عليها من قبل الإمام سلطان إلا أن البرتغاليين استعادوا سيطرتهم عليها وأساءوا معاملة سكانها(١٦٥).

دفعت هذه المصادمات الحربية بين العمانيين والبرتغاليين كل طرف إلى الإصرار على إلحاق الهزيمة بالآخر، إذ استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين إلى أن رجحت الكفة لصالح العمانيين فيما بعد فقد أرسل الإمام سلطان سنة ١٦٦٩م أسطولاً قوياً إلى موزمبيق وحاصر قلعتها(١٦٦)، لكنها صمدت أمام ذلك الحصار لحصانتها وقوة دفاعاتها، وقد دفعت تحركات الإمام البرتغاليين إلى تعزيز قواتهم في الساحل الإفريقي، فأرسلوا في أبريل سنة ١٦٧٨م قوة بحرية بقيادة دوم الميدا الذي عزز الحاميات البرتغالية في موزمبيق وممباسا خشية سقوطها بيد العمانيين، ثم توجه صوب فازا وتمكن من الاستيلاء عليها في ديسمبر ١٦٧٨م، بعد وصول تعزيزات برتغالية من جوا، ثم استسلمت سيو وتم أسر ملكها بجانب ملكي لامو وماندا إثر شن هجمات متتالية عليها(١٦٧).

وفي تلك الأثناء نجح أسطول عماني صغير مكون من ٤ سفن في الوصول إلى شرق إفريقيا في ١١ و ١٢ يناير ١٦٧٩م، وإجبار البرتغاليين على الانسحاب من المناطق التي استولوا عليها إلى موزمبيق، وفي ١٩ يناير توفي الإمام سلطان بن سيف وخلفه ابنه الإمام سيف (١٦٧٩-١٧١١م) الذي واصل تصديه للبرتغاليين في شرق إفريقيا، وأفشل خططهم في الاستيلاء على باتا ومدنها بات وسيو وفازا سنة ١٦٨٦م ثم استعادها منهم سنة ١٦٨٧م بعد أن كانوا قد استولوا عليها لمدة مؤقتة، وأجبرهم على الانسحاب إلى ممباسا(١٦٨).

ركز الإمام سيف جهوده بعد ذلك على طرد البرتغاليين من ممباسا، خاصةً بعد تشجيع عدد من حكام المدن الساحلية، وبالذات حكام لامو الذين بعثوا بوفد إلى الإمام سيف يطلبون منه مساعدتهم ضد البرتغاليين(١٦٩)، فجهز أسطولاً حربياً مكون من سفينتين كبيرتين و٥ سفن صغيرة و١٠ زوارق، وتمكن من الرسو به في مرفأ ممباسا وشرع في حصارها في ١٣ مارس ١٦٩٦م(١٧٠)، وقطع طرق الإمدادات عن البرتغاليين المحاصرين القادمة من مركزهم في موزمبيق، وشل فعالية بعض الإمدادات المحدودة التي وصلت من جوا إلى القرب من ممباسا على فك الحصار، مقابل استمرار الإمدادات العربية العمانية من السفن والسلاح والجنود(١٧١)، وهو ما أسهم في سقوط حصن اليسوع ونجاح العمانيين في السيطرة على ممباسا في ١٤ ديسمبر ١٦٩٨م بعد حصار عنيف دام ٣٣ شهراً(١٧٢) عانى خلاله البرتغاليون من نقص المؤن والمعدات الحربية والخسائر البشرية، في ظل الحالة النفسية المتدهورة والأمراض الفتاكة(١٧٣).

وبسقوط حصن اليسوع يكون العمانيون قد حققوا أعظم انتصار على البرتغاليين في شرق إفريقيا ووضعوا حداً نهائياً لتفوقهم هناك(١٧٤)، بحيث عزز العمانيون سيطرتهم على الساحل الشرقي من مقديشو شمالاً إلى خليج دلجادو جنوبا بعد ذلك، ولم يفلح البرتغاليون في استعادة ذلك الساحل إلى سيطرتهم من جديد رغم محاولاتهم المتكررة، كما أتاح ذلك الانتصار المناخ الملائم للدين الإسلامي وحضارته في الانتشار في شرق إفريقيا، فتم إيقاف انتشار المسيحية الكاثولوكية التي مكن لها البرتغال طوال مدة استعمارهم للساحل، وبنيت المساجد ومراكز تحفيظ القرآن والعلم الشرعي بدلاً عن الكنائس، وتوقف قتل المسلمين وتدمير منازلهم

ونهب ممتلكاتهم وثرواتهم، ووجدت مقومات الحضارة الإسلامية فرصة جديدة للنمو والازدهار والانتشار(١٧٥).

الخاتمة:

تأسيساً على ما سبق، تبين الإسهام الفاعل للتقارب الجغرافي بين بلدان الجزيرة العربية وشرق إفريقيا في تواجد العرب – خاصةً العمانيون والحضارمة – بصفة مؤقتة قبل الإسلام، وفي التأسيس لحضارة مزدهرة ترسخت جذورها وتعددت مظاهرها بعد تزايد التواجد العربي واستقراره الدائم في شرق إفريقيا بعد الإسلام، كما اتضح أن الحضارة الإسلامية المزدهرة في شرق إفريقيا وبالذات في مظهرها الاقتصادي والثقافي الديني أغرت البرتغال باستعمار الساحل الشرقي الإفريقي وبالذات قسمه الجنوبي المطل على المحيط الهندي واستغلال ثرواته الاقتصادية وعلى رأسها الذهب، وكذا استثمار موقعه الاستراتيجي – المتصل بالبلاد العربية الإسلامية والرابط بين لشبونة وبلاد التوابل الهند – في احتكار التجارة الإسلامية وطرقها ونشر المسيحية بالتحالف مع بلاد الراهب يوحنا(الحبشة) باستخدام وسائل قسرية (لا إنسانية) من القتل والتدمير والإحراق والنهب والمصادرة، ما دفع العثمانيون للتدخل المباشر في مقاومة البرتغاليين ومحاولة وقف خطرهم على الحضارة الإسلامية خلال القرن ١٦م، لكن دون جدوى حقيقية على صعيد دحر الاستعمار البرتغالي عن ساحل شرق إفريقيا المطل على المحيط الهندي، والذي نجح فيه العمانيون بصورة قوية خلال القرن ١٧م بالاستيلاء على حصن يسوع في ممباسا سنة ١٦٩٨م، ومن ثم طرد البرتغاليين من الساحل الشرقي الإفريقي، ومنح الإسلام وحضارته فرصة ذهبية للانتشار والازدهار في ذلك الساحل(حتى الوقت الراهن).

قائمة الحواشي:

(١) عبد الله إبراهيم؛ شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٦.

(٢) السر سيد العراقي، "الإسلام والصليبيون في ساحل إفريقيا في العصور الوسطى"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق افريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٥٣٧-٥٤٨.

(٣) جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م، ص٢١.

(٤) أبو الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، د.ط، دار الرجاء، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٢٨-٣٣٤؛ أبو إسحاق الأصطخري، المسالك والممالك، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٩؛ أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م، ص٤٩؛ أبو القاسم بن خرداذبة، المسالك والممالك، ط١، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م، ص٦؛ إبراهيم خوري، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م، ص٩٧-١٠١.

(٥) قاسم، دولة...، م.س، ص٢١؛ العراقي، م.س، ص٥٣٧.

(٦) العراقي، م.س، ص٥٣٧.

(٧) المسعودي، م.س، ج١، ص١٠٧؛ أبو الحسن بن سعيد، كتاب الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٠م، ص٦٣؛ شمس الدين شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، سان بيترسبرج، ١٩٢٣م، ص١١١.

(٨) أحمد المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام، ط١، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٨٩٥م، ص٥.

(٩) للاطلاع على ممالك الطراز الإسلامي في القسم الشمالي للساحل الشرقي الإفريقي المطل على البحر الأحمر والدعم المقدم لها من قبل العثمانيين في إطار الحركة الجهادية ضد الممالك المسيحية في الحبشة المدعومة من قبل البرتغاليين انظر: نوال حمزة الصيرفي، الجهاد الإسلامي في شرق أفريقية، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٨٧م، ص٢-٢٩؛ ١٤٥-٢٩٠.

(١٠) ياقوت الحموي، محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص٦٢.

(١١) المسعودي، م.س، ج٢، ص٦؛ الحموي، م.س، ج٣، ص٢٢٤.

(١٢) شيخ الربوة، م.س، ص١١٤؛ المسعودي، م.س، ج١، ص١٠٧؛ ابن سعيد، م.س، ص٨٣؛ خوري، م.س، ص٩٨-١٠١؛ عماد الدين بن أيوب، تقويم البلدان، ط١، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م، ص١٥٦، ١٥٧.

(١٣) ليلى الصباغ، "الغزو البرتغالي للبلاد العربية وموقف الدولة العثمانية منه في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي"، ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الاسلامي، من سقوط بغداد إلى نهاية الاستعمار البرتغالي ٦٥٦-١٠٤٦هـ/١٢٥٨-١٦٥٠م، ٢٦-٢٨

فبراير ١٩٩٠م، ط١، جامعة الامارات بالتعاون مع المجمع الثقافي، العين، ١٩٩٠م، ص٤٨-١٠٨. كانت منطقة الشرق الإفريقي تشمل ما نسميه اليوم بالصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق فضلاً عن جيبوتي وأثيوبيا. انظر: إسماعيل ياغي؛ محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، قارة إفريقيا، ط١، ج٢، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٣م، ص١٨٨، ٢٦٧.

(١٤) الصيرفي، م.س، ص١٥، ٢١، ٣٠.

(١٥) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٣.

(١٦) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم شرقي إفريقيا، ط١، ج١٠، الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

(١٧) الموسوعة...، م.س، ص٢٣.

(١٨) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٦٣، ٦٤.

(١٩) صباح الشيخلي، "العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا كما يعكسها البلدانيون العرب في العصر الوسيط"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، م.س، ص٣٤١-٣٦٨؛ ياغي، م.س، ص١٧٣؛ قاسم، دولة البوسعيد...، م.س، ص٢٤، ٢٥؛ شوقي الجمل، دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا في القرنين الـ ١٦-١٧"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، م.س، ص٣١١-٣٤٠.

(٢٠) Coupland Reginald, East africa and It,s Invaders, From the Earliest Times to the Death of Seeyyid Said, 1856, p155.

(٢١) الشيخلي، م.س، ص٣٤١.

(٢٢) المسعودي، م.س، ج١، ص١١٥؛ ياغي، م.س، ص١٧٣.

(٢٣) الجمل، دور...، م.س، ص٣٢٠؛ ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٣؛ الشيخلي، م.س، ص٣٤١.

(٢٤) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٤.

(٢٥) قاسم، الأصول...، م.س، ص٦٣، ٦٤؛ الشيخلي، م.س، ص٣٤٢؛ الجمل، دور...، م.س، ص٣٢١.

(٢٦) أبو جعفر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط١، ج٢، د.د، القاهرة، ١٩٦١م، ص٣٢٠.

(٢٧) الطبري، م.س، ص٣٢٨.

(٢٨) أبو عبد الله الواقدي، الطبقات الكبرى، ط١، ج١، دار التحري، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٩٠.

(٢٩) الجمل، دور...، م.س، ص٣٢٢.

(٣٠) جمال زكريا قاسم، "سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال"، ضمن: الاستعمار...، م.س، ص٥٠١-٥١٠.

(٣١) قاسم، دولة...، م.س، ص٢٧؛ Coupland, O.p. cit, p.21.

(٣٢) قاسم، الأصول...، م.س، ص٦٨؛ قاسم، دولة...؛ م.س، ص٢٧؛ الشيخلي، م.س، ص٣٤٢.

(٣٣) عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، ط١، مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٢٠.

(٣٤) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٣٦.

(٣٥) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، ط٢، د.د، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٧٨.

(٣٦) ياغي؛ شاكر، م.س، ٢٥٨.

(٣٧) R. P.Serjeant, The portuguese off The South Arabian Coast, hadrami chronicles with Yemeni and Europen accounts of dutch pirates off mocha in 17 the Century, Clarendan press, oxford, 1983,p,9.

(٣٨) محمود، م.س، ص437.

(٣٩) الشيخلي، م.س، ص343.

(٤٠) الجمل، دور...، م.س، ص325.

(٤١) قاسم، دولة...، م.س، ص26.

(٤٢) محمود، م.س، ص٤٣٩؛ راشد أبو زيد؛ وداد النابودة، تاريخ الخليج العربي منذ العصور الإسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر، ط١، د.د، د.م، ١٩٩٨م، ص٣٥٥.

(٤٣) Coupland, O.p. cit, p.25.

(٤٤) الجمل، دور...، م.س، ص325.

(٤٥) قاسم، الأصول...، م.س، ص127.

(٤٦) الجمل، دور...، م.س، ص325.

(٤٧) قاسم، الأصول...، م.س، ص74، 75.

(٤٨) أبو عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ط1، دار التراث، بيروت، 1986م، ص246-251.

(٤٩) زكي، م.س، ص١٢١.

(٥٠) الجمل، دور ..، م.س، ص326.

(٥١) قاسم، دولة...، م.س، ص٣٦-٣٨.

(٥٢) المسعودي، م.س، ج١، ص١٧؛ ابن سعيد، م.س، ص٨٣.

(٥٣) ابن بطوطة، م.س، ص٢٤٩؛ قاسم، دولة...، م.س، ص٣٣.

(٥٤) Freeman, Grenville, The Mediveal History of the Coast of Tanganika, Berlin, 1962, p.p. 222-224.

(٥٥) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٤.

(٥٦) ابن بطوطة، م.س، ص٢٤٧؛ جون ترمنجهام، الإسلام في شرق إفريقيا، ترجمة محمد النزاوي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٨٧.

(٥٧) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما وراء الصحراء الكبرى، شرقي القارة الإفريقية وغربيها، ط١، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٠.

(٥٨) قاسم، الأصول...، م.س، ص80؛ الجمل، دور...، م.س، ص327، 328.

(٥٩) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٦.

(٦٠) المرجع نفسه،ص١٧٥.

(٦١) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢٣٦؛
Marsh, Zoe, An Introduction to the History of East Africa, Cambridge, p.8.

(٦٢) للمزيد عن ذلك انظر:
Dames, M.L, The Book of Duarte Barbosa, v.1,p.14-21. London, 1918,

(٦٣) خوري، م.س، ص٩٧-١٠٠.

(٦٤) المسعودي، م.س، ج٢، ص٦؛ الحموي، م.س، ج٢، ص٣-١٢؛ ج٣، ص٢٢٤.

(٦٥) محمد الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق حسان عباس، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٥٥٢، ٥٥٤؛ المسعودي، م.س، ج١، ص١٥٠، ١٥١؛ ج٢، ص٦، ١٢؛ الحموي، م.س، ج٥، ص١٧٣؛ القزويني، م.س، ص٤٤، ٦٢؛ ابن سعيد، م.س، ص٨٣؛ ابن خرداذبة، م.س، ص٦١؛ شيخ الربوة، م.س، ص١٦٢.

(٦٦) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٥.

(٦٧) Dames, M.L, O.p Cit,p.17-31.

(٦٨) الجمل، دور...، م.س، ص٣٣٠.

(٦٩) Basil, D, The African Fast Chronicles,From Antiquity to Modern Times, Oxford, 1969, p.113.

(٧٠) ابن بطوطة، م.س، ص٢٤٦-٢٥٠.

(٧١) قاسم، الأصول...، م.س، ص٦٦.

(٥) الجمل، دور...، م.س، ص٣٣١.

(٧٣) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٥؛ هولينجزوت.ل، الآسيويون في شرق إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن صالح، ط١، د.د، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٨، ١٩.

(٧٤) Coupland, O.p. cit, p.31, 49.

(٧٥) ابن بطوطة، م.س، ص٢٥٠، ٢٥١.

(٧٦) المصدر نفسه، ص٢٤٦-٢٥١..

(٧٧) Chittick , Neville, Kilwa and the Arab Settelement of the East African Coast, Jornal of the African Society, No,2, 1963, p. 236.

(٧٨) Freeman, O.p Cit,p.159.

(٧٩) الموسوعة...، م.س، ص٢٢.

(٨٠) ياغي؛ شاكر، م.س، ص٢٥٩.

(٨١) الجمل، دور...، م.س، ص٣٣٣.

(٨٢) ابن بطوطة، م.س، ص٢٤٦-٢٥٠.

(٨٣) داود سلوم، "مؤثرات لغوية وأدبية عربية في شرق إفريقيا"، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص٥٦٥-٥٩٤.

(٨٤) يوسف الخليفة أبو بكر، "كتابة اللغة السواحلية بالحرف العربي"، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص٥٤٩-٥٦٤؛ سلوم، م.س، ص٥٧٣-٥٩٠.

(٨٥) سلوم، م.س، ص٥٧١، ٥٧٢.

(٨٦) كاظم، م.س، ص١٢١.

(٨٧) الجمل، الصراع...، م.س، ص ص١٨٥.

(٨٨) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٤.

(٨٩) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨٤.

(٩٠) زين الدين المعبري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين الطيبي، كلية الدعوة الإسلامية، ط١، طرابلس، ١٩٨٧م، ص٨١، ٨٢.

(٩١) أمين، م.س، ص٤٧١-٤٩٩؛أبو زيد؛ النابودة، م.س، ص٦٥.

(٩٢) أحمد محمد بطي، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ط١، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩١م، ص٤٠-٤٥.

(٩٣) العراقي، م.س، ص٥٤٠.

الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص١٠٢-١٢٠.

(٩٥) بشير كاضم، "حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها"، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص١٢١-١٢٩.

(٩٦) أبو زيد؛ النابودة، م.س، ص٦٥، ٦٦؛ ك.م، بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٤، ٢٥؛ محمود الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢١٠.

(٩٧) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٧٩-١٩٦؛ قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٤-١٠٠.

(٩٨) المعبري، م.س، ص٨٨-٩٠.

(٩٩) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨٦.

(١٠٠) كاظم، م.س، ص١٢٣.

(١٠١) أمين، م.س، ص٤٤٧.

(١٠٢) قاسم، دولة...، م.س، ص٣٩.

(١٠٣) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٤؛ العراقي، م.س، ص٥٤٠؛ الجمل، الدور ...، م.س، ص٤٣٤، ٤٣٥.

(١٠٤) العراقي، م.س، ص٥٤١.

(١٠٥) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٨.

(١٠٦) ابن بطوطة، م.س، ص٢٩٤، ٢٩٥.

(١٠٧) العراقي، م.س، ص٥٤١.

(١٠٨) بطي، م.س، ص٥٧، ٥٨.

(١٠٩) طارق حمداني، "الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص٢١٧-٢٣٤.

(١١٠) Johnston, H, History of the Colonization of Africa by Alien Races, combridge, 1913, P.15.

(١١١) بطي، م.س، ص٦١.

(١١٢) الحويري، م.س، ص٢١٠.

(١١٣) أبو زيد؛ النابوذة، م.س، ص٦٩.

(١١٤) سونيا هاو، في طلب التوابل، ط١، د.د، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٠٢، ١٠٣؛ بطي، م.س، ص٦١، ٦٢.

(١١٥) قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، تحقيق حمد الجاسر، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٨، ١٩؛ حسن شهاب، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٣_٥٠؛ حسين أمين، "أحمد بن ماجد وجهوده في الملاحة البحرية"، ندوة الاستعمار البرتغالي، م.س، ص٩٥_١٠٣؛ عبد الهادي التازي، ابن ماجد والبرتغال، ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠٠٥م، ص١٠_٣٠.

(١١٦) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٨.

(١١٧) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل حسين، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص٢٣٧-٢٥٢؛ يسري الجوهري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٩م، ص١١٧-١١٨.

(١١٨) هول، م.س، ص٢٦١-٢٦٩.

(١١٩) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨١.

(١٢٠) هول، م.س، ص٢٨١.

(١٢١) الجمل، دور...، م.س، ص٣٣٤.

(١٢٢) بطي، م.س، ص٧٢، ٧٧.

(١٢٣) نفسه، ص٧٩.

(١٢٤) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٩.

(١٢٥) هول، م.س، ص٢٨٠-٢٨٤.

(١٢٦) نفسه، ص٢٨٥.

(١٢٧) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨١.

(١٢٨) هول، م.س، ص٢٨٦.

(١٢٩) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٨، ٩٩.

(١٣٠) هول، م.س، ص٢٨٥-٢٨٧.

(١٣١) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨١.

(١٣٢) هول، م.س، ص٣٠٠.

(١٣٣) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٧.

(١٣٤) هول، م.س، ص٣٠١، ٣٠٢.

(١٣٥) الجمل، الصراع...، م.س، ص١٨١، ١٨٢.

(١٣٦) قاسم، الأصول...، م.س، ص٩٩.

(١٣٧) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٦.

(١٣٨) المرجع نفسه، ص١٧٦، ١٧٧.

(١٣٩) هول، م.س، ص٣٥٩-٣٦٢.

(١٤٠) الصيرفي، م.س، ص٣١٤.

(١٤١) الشاطر عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٦٣؛ الصيرفي، م.س، ص٣١٤.

(١٤٢) قاسم، الأصول...، م.س، ص١٠١، ١٠٢.

(١٤٣) الصيرفي، م.س، ص٣١٤، ٣١٥؛ هول، م.س، ص٣٦٣؛ بطي، م.س، ص ٢٠٦، ٢٠٧؛ قاسم، الأصول، ...، م.س، ١٠٢.

(١٤٤) هول، م.س، ص٣٦٣.

(١٤٥) قاسم، الأصول...، م.س، ص١٠٢.

(١٤٦) هول، م.س، ص٣٦٣.

(١٤٧) قاسم، الأصول...، م.س، ص١٠٢، ١٠٣.

(١٤٨) مهمة دفتري٦٤، ص٢٠٣، حكم٥١٨(محرم ٩٩٧هـ/ديسمبر ١٥٨٨م).

(١٤٩) سيد سالم، الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨_١٦٣٥م)، ط٥، دار الأمين، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤٤٠.

(١٥٠) شارل جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا، ترجمة يوسف كمال، ط١، د.د، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٢٨٠، ٢٨١.

(١٥١) جيان، م.س، ص٢٨٢؛ قاسم، الأصول...، م.س، ص١٠٣؛ هول، م.س، ص٣٦٣-٣٦٦؛ سالم، م.س، ص٤٤١.

(١٥٢) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٦.

(١٥٣) الصيرفي، م.س، ص٣١١.

(١٥٤) للمزيد انظر: الصباغ، م.س، ص٨٢-١٠٨؛ قاسم، الأصول...، م.س، ص١٢١-١٤٣؛ العراقي، م.س، ص٥٤٤، ٥٤٦.

(١٥٥) هول، م.س، ص٣٦٩-٣٧٢.

(١٥٦) المرجع نفسه، ص٣٧٤-٣٧٧.

(١٥٧) قاسم، أصول...، م.س، ص١٠٥.

(١٥٨) عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ط١، ج١، دار الجيل، بيروت،١٩٩١م، ص٣٦، ٣٧.

(١٥٩) ياغي؛ شاكر، م.س، ص١٧٧.

(١٦٠) تشير المصادر التاريخية أن الإمام ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة في عمان حميري أزدي يمني إباضي، وأن اليعاربة هم قبيلة يمنية قحطانية ترجع في أصولها إلى العرب العاربة، وهم من أوائل الذين هاجروا من اليمن واستقروا في عمان. انظر: عبد الله بن خلفان

بن قيصر، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبد المجيد القيسي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ١٩٧٧م، ص١٣؛ حميد بن محمد بن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ١٩٧٨م، ص٨٩.

(١٦١) ورد ذلك في وثيقة برتغالية مؤرخة سنة ١٠٦٤هـ/٢٨ يناير ١٦٥٣م انظر: (IOR)1/3/140, Documents, 65, fol, 4666. P5.

(١٦٢) غانم رميض، "الصراع البحري العماني_البرتغالي في البحار الشرقية١٦٥٠-١٧٢٠م)، ندوة الاستعمار البرتغالي...، م.س، ص٥١١-٥٢٤.

(١٦٣)وثيقة برتغالية مؤرخة سنة ١٠٦٤هـ/٢٨ يناير ١٦٥٣م انظر: (IOR)1/3/140, Documents, 65, fol, 4666. P5.؛ رميض، م.س، ص٥١١-٥٢٤.

(١٦٤) عبد الرحمن بن علي السديس، العمانيون والجهاد الإسلامي في شرق إفريقية(١٦٢٤-١٧١١م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٩٣م، ص٢٩٧-٣٠٠.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً الوثائق:

- وثيقة عثمانية مؤرخة في محرم ٩٩٧هـ/ديسمبر ١٥٨٨م تشير للأوامر الصادرة من قبل السلطان العثماني لوالي مصر بضرورة اتخاذ الاحتياطات اللازمة والحذر من مهاجمة السفن البرتغالية لسواحل اليمن وولاية الحبش إبان قيادة علي بك للحملة العثمانية الثانية من سواحل اليمن صوب شرق إفريقيا لطرد البرتغاليين منها. المصدر: مهمة دفتري٦٤، ص٢٠٣، حكم٥١٨.
- وثيقة برتغالية مؤرخة سنة ١٠٦٤هـ/٢٨ يناير ١٦٥٣م عن الأضرار التي لحقت بالمراكز البرتغالية في ساحل شرق إفريقيا جراء الحملة العمانية الأولى سنة ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م والأثر الذي تركته على معنويات سكان الساحل ضد البرتغاليين، بجانب المواجهات العسكرية بين العمانيين والبرتغاليين في سواحل الخليج. المصدر: (IOR)1/3/P5. 140, Documents, 65, fol, 4666.

ثانياً المصادر والمراجع العربية:

المـــصـــــادر :

- الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ابن أيوب، عماد الدين، تقويم البلدان، ط١، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.

(١٦٥) أحمد المعمري، عمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد عبد الله، ط١، وزارة التراث، مسقط، ١٩٧٩م، ص٦٦.

(١٦٦) السديس، م.س، ص٣٣٣.

(١٦٧) رميض، م.س، ص٥١٤.

(١٦٨) عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا ١٦٢٤-١٧١٤م، ط١، دار القدس، بيروت، ١٩٧٥م، ص٩٩،٩٨.

(١٦٩) سعيد المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٧-.

(١٧٠) المغيري، م.س، ص١٠٦؛ المعمري، م.س، ص٦٢.

(١٧١) هول، م.س، ص٤٢٥-٤٣٥.

(١٧٢) قاسم، الصلات...، م.س، ص١٠٩، ١١٠.

(١٧٣) السيار، م.س، ص١٠٠؛ أبو زيد؛ النابودة، م.س، ص٩٩. للمزيد عن يوميات الحصار العماني والسيطرة على الحصن ومحاولات البرتغاليين المستمرة لكسر الحصار انظر: السديس، م.س، ص٣٨٤-٣٩٦.

(١٧٤) Coupland, O.p. cit, p.67,68.

(١٧٥) قاسم، الصلات...، م.س، ص١١٠، ١١١؛ السديس، م.س، ص٣٩٧، ٣٩٨.

- ابن بطوطة، أبو عبد الله، رحلة ابن بطوطة، ط١، دار التراث، بيروت، ١٩٨٦م.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط٢، ج٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحميري، محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق حسان عباس، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.
- ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م.
- ابن رزيق، حميد بن محمد، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ١٩٧٨م.
- ابن سعيد، أبو الحسن، كتاب الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.
- شيخ الربوة، شمس الدين، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، سان بيترسبرج، ١٩٢٣م.
- الطبري، أبو جعفر، تاريخ الأمم والملوك، ط١، ج٢، د.د، القاهرة، ١٩٦١م.
- القزويني، زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

- ابن قيصر، عبد الله بن خلفان، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبد المجيد القيسي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط١، ١٩٧٧م.
- المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، د.ط، دار الرجاء، القاهرة، ١٩٦٤م.
- المعبري، زين الدين، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين الطيبي، ط١، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٧م.
- المغيري، سعيد، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٩م.
- المقريزي، أحمد، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام، ط١، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٨٩٥م.
- النهروالي، قطب الدين، البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، تحقيق حمد الجاسر، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- الواقدي، أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، ط١، ج١، دار التحري، القاهرة، ١٩٨٦م.

المـــراجـــــع:

- إبراهيم، عبد الله؛ الجمل، شوقي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، ط٢، د.د، القاهرة، ١٩٥٧م.
- بانيكار، ك.م، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- بطي، أحمد عبيد، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ط١، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩١م.
- التازي، عبد الهادي، ابن ماجد والبرتغال، ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠٠٥م.
- ترمنجهام، جون، الإسلام في شرق إفريقيا، ترجمة محمد النزاوي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الجوهري، يسري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- جيان، شارل، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن شرق إفريقيا، ترجمة يوسف كمال، ط١، د.د، القاهرة، ١٩٧٢م.
- حسن، حسن إبراهيم، انتشار الإسلام والعروبة فيما وراء الصحراء الكبرى، شرقي القارة الإفريقية وغربيها، ط١، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- حوراني، جورج، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، ط١، القاهرة، ١٩٥٨م.
- الحويري، محمود، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- خوري، إبراهيم، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م.
- زكي، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، ط١، مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- أبو زيد؛ راشد؛ النابودة، وداد، تاريخ الخليج العربي منذ العصور الإسلامية حتى أواخر القرن التاسع عشر، ط١، د.د، د.م، ١٩٩٨م.
- سالم، سيد، الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨_١٦٣٥م)، ط٥، دار الأمين، القاهرة، ١٩٩٩م.
- السيار، عائشة، دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا ١٦٢٤-١٧١٤م، ط١، دار القدس، بيروت، ١٩٧٥م.
- شهاب، حسن، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، ط١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ١٩٨٨م.
- عبد الجليل، الشاطر، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.
- عوض، عبد العزيز، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ط١، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- قاسم، جمال زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- قاسم، جمال زكريا، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م.
- محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- المعمري، أحمد، عمان وشرق إفريقيا، ترجمة محمد عبدالله، ط١، وزارة التراث، مسقط، ١٩٧٩م.
- هاو، سونيا، في طلب التوابل، ط١، د.د، القاهرة، ١٩٥٧م.
- هول، ريتشارد، إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل حسين، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩م.
- هولينجزوت.ل، الآسيويون في شرق إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن صالح، ط١،د.د، القاهرة، ١٩٦١م.
- ياغي، إسماعيل؛ شاكر، محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، قارة إفريقيا، ط١، ج٢، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٣م.

المقالات والدوريات:

- أمين، حسين، "أحمد بن ماجد وجهوده في الملاحة البحرية"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ج١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٩-٣١ اغسطس ١٩٨٧م، ص٩٥-١٠٣.
- أمين، عبد الأمير، "نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في آسيا"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢،

مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٤٧١-٤٩٩.
- أبو بكر، يوسف الخليفة، "كتابة اللغة السواحلية بالحرف العربي"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق افريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٥٤٩-٥٦٤.
- الجمل، شوقي، "الصراع العربي البرتغالي في المحيط الهندي والتحرر الإفريقي من الاستعمار البرتغالي"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ج١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٩-٣١ اغسطس، ١٩٨٧م، ص١٧٩-١٩٦.
- الجمل، شوقي، "دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا في القرنين الـ ١٦-١٧"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٣١١-٣٤٠.
- رميض، محمد، "الصراع البحري العماني- البرتغالي في البحار الشرقية١٦٥٠-١٧٢٠م)، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م،، ص٥١١-٥٢٤.
- سلوم، داود، "مؤثرات لغوية وأدبية عربية في شرق إفريقيا"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٥٦٥-٥٩٤.
- الشيخلي، صباح، "العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق إفريقيا كما يعكسها البلدانيون العرب في العصر الوسيط"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٣٤١-٣٦٨.
- العراقي، السر، "الإسلام والصليبيون في ساحل إفريقيا في العصور الوسطى"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٥٣٧-٥٤٨.
- قاسم، جمال زكريا، "سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، ط٢، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة،٢٠٠١م، ص٥٠١-٥١٠.
- كاضم، بشير، "حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، ج١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٩-٣١ أغسطس ١٩٨٧م، ص١٢١-١٢٩.
- الكيالي، محمد، "الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر"، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ج١، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ٢٩-٣١ أغسطس، ١٩٨٧م، ص١٠٢-١٢٠.
- ليلى الصباغ، "الغزو البرتغالي للبلاد العربية وموقف الدولة العثمانية منه في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي"، ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الاسلامي، من سقوط بغداد إلى نهاية الاستعمار البرتغالي ٦٥٦-١٠٤٦هـ/١٢٥٨-١٦٥٠م، ٢٦-٢٨ فبراير ١٩٩٠م، ط١، جامعة الإمارات بالتعاون مع المجمع الثقافي، العين، ١٩٩٠م، ص٤٨-١٠٨.

الرسائل الجامعية:

١- السديس، عبد الرحمن بن علي، العمانيون والجهاد الإسلامي في شرق إفريقية(١٦٢٤-١٧١١م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٩٣م.
٢- الصيرفي، نوال حمزة، الجهاد الإسلامي في شرق إفريقية، في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

ثالثًا- المصادر والمراجع الأجنبية:

- Basil, D, The African Fast Chronicles, From Antiquity to Modern Times, Oxford, 1969.
- Chittick , Neville, Kilwa and the Arab Settelement of the East African Coast, Jornal of the African Society, No,2, 1963.
- Coupland Reginald, East africa and It,s Invaders, From the Earliest Times to the Death of Seeyyid Said, 1856.
- Dames, M.L, The Book of Duarte Barbosa, v.1, London, 1918.
- Freeman, Grenville, The Mediveal History of the Coast of Tanganika, Berlin, 1962.
- Johnston, H, History of the Colonization of Africa by Alien Races, combridge, 1913.
- Marsh, Zoe, An Introduction to the History of East Africa, Cambridge, p.8.
- Serjeant, R. P., The portuguese off The South Arabian Coast, hadrami chronicles with Yemeni and Europen accounts of dutch pirates off mocha in 17 the Century, Clarendan press, oxford, 1983.